



عنوان المذكرة:

سرديّة الشّعْر في ديوان
"الهب المقدس" لمُفدي زكريا

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
تخصص الأدب العربي

إشراف الأستاذ:
عبد الحفيظ بورايو

إعداد الطالبات:

- 1- العيون دنيا زاد
- 2- سراوي سمية
- 3- بورويس منيرة



حكمة

يارب

إذا أعطيتنا **نجاحًا** فلا تأخذ
تواضعًا، وإذا أعطيتنا تواضعًا
فلا تأخذ اعتزازًا بكرامتنا،
فإذا أسأنا يارب إلى الناس
فامنحنا شجاعة العفو، ولا
تجعلنا نُصاب بالغرور إذا
نجحنا، ولا باليأس إذا
أخفقنا، بل ذكّرنا دائمًا أنّ
الإخفاق هو التجربة الوحيدة
التي ستبقي النّجاح.

آمين



خطة البحث:

* مقدمة.

* مدخل.

أولاً: المناخ السياسي.

ثانياً: المناخ الفكري والأدبي.

1 الصحافة.

2 الأدب.

الفصل الأول: حياة الشاعر "مفدي زكرياء".

1 - نسبه.

2 - أسرته.

3 - ثقافته وأساتذته.

4 - شخصيته.

5 - شاعريته.

6 - بيئته.

7 - باكورة إنتاجه.

8 - نشاطه السياسي والفكري.

9 - وفاته.

10 - مؤلفاته.

الفصل الثاني: سردية الشعر عند مفدي زكرياء في اللمب المقّس.

1 تعريف السرء.

2 تعريف الشعر.

3 -العنصر القصصى عنء مفءى زكرباء.

4 -الءراسة الأسلوبىة عنء مفءى زكرباء.

1 اللمسءوى الصوءى:

أ -القافىة.

ب -الإىقاع.

ج الجرس.

2 اللمسءوى المعجمى:

أ - الءلالة.

ب - الجرس الموءىقى.

ج القوءة والفخامة.

3 اللمسءوى التركبىى:

أ -الأسلوب عنء مفءى زكرباء.

ب - القوءة والجزالة.

ج - الأصالة.

الفصل الءالء: الجانب الءطبىقى: ءراسة بعض النماءج الشعرىة للوءوف على مواطن السرد القصصى من ءلال

ءىوان "اللمب المقّس".

* ءائمة.

حَقِّقْ حَقِّكَ

مقدمة:

بحثنا كثيرا ووجدنا كثيرا من رموز وأقطاب هذا الوطن كل في مجاله، متفرد في شموخه قدم لهذا الغالي الروح والمال، لكننا وبعد البحث وقع الاختيار على رجل، بطل، عظيم من الذين رفعوا راية السلام في أراضي الأمان .

رجل معروف لدى الكبير والصغير، لدى العالم والجاهل، خلد اسمه في التاريخ جعل له مصداقية كبيرة وكان له موقعه في بلمان الوطن ودستور الشعب ولسان الثورة.

إنه الرجل المعجزة الثائر الوطني، الشاعر الكاتب هو القائل:

أنا إن مُتّ فالجزائر تحيا *** حرة مستقلة لن تبيدا

هو "ابن تومرت" سفير الجزائر بلا أوراق إنه بحق كذلك :- مفدي زكرياء -

كيف لا وهو الذي حمل لواء تأريخ أمجاد الثورة، إذ راح يخرج ما تجود به قريحته من كلمات مدوية وقوية، قوة رجل الثورة الطاهرين طهارة هذا الوطن الغالي، وطهارة ثورة نوفمبر الخالدة .

لقد دوت أشعاره السجون وأسالت قصائده العيون، بحيث كان جدران الزنانات أوراقا لكلماته وبدمه كتب للجزائر والجزائريين، وإنه لمن المؤكد أن تتحني الأقلام تمجيذا والأوراق تكريما لهذا الشاعر الفذ المتميز بأصالته ولغته .

ومهما قلنا ومهما كتبنا فلن نوفي هذه الشخصية حقها، فهي فوق كل ما قيل وما يقال .

لقد تميزت المرحلة الشعرية السابقة مرحلة مفدي زكريا وحتى المرحلة التي عاشها بالارتكاز على أسس القصيدة العمودية ذات النظام الصارم، وبقيت مقيدة بذلك الموروث القديم تستلهم مضامينه وإشكاله في قوالب جاهزة وبقيت على تلك الحالة من القومية والمحلية .

ولكنه ما لبثت تنفتح تدريجيا على الثقافات الغربية، هذه الأخيرة التي أمدتها بأساليب فنية جديدة على مستوى الشكل والمضمون على حد سواء، شأنها في ذلك شأن القصيدة الغربية عرفت بذلك

استعمال تقنيات وأساليب جديدة في النص الشعري الحديث لعل أهم هذه الأساليب محاولة الاقتباس من القرآن الكريم وتوظيف الكثير من الدلالات الدينية في أشعارهم باعتبارها وسيلة من الوسائل الفنية التي أصبحت ضرورة ملحة على كل شاعر فلم يعد الاستغناء عنها .

ومن أجل ذا وذاك ارتأينا في بحثنا هذا إلا أن نركز الدراسة على قصائد الشاعر مفدي زكريا باعتباره واحد من أولئك الذين وضعوا مثل هذه الوسائل نفي أشعارهم وفحوى دراستنا هذه تدور حول سردية الشعر عند مفدي زكريا .

ومن المؤكد ولمعرفة أصالة الشاعر موقفا وأسلوبا ورؤية لابد من العودة إلى الأصول الأساسية التي يستقي منها رموزه فبقدر ما تكون هذه الأصول قوية ومتجدرة بقدر ما يكون شعر صائب وهادف وشخصيته متفردة ومتميزة .

وإذا حاولنا أن نعكس هذا القول على أرضية الشعب الجزائري -ولا شك في ذلك- نجده ينطبق على مجموعة هائلة من قصائد وأناشيد هي في معظمها لشعراء متقنين ثقافة إسلامية بحثة. لهذا قررنا أن نتفرد في دراستنا هذه لدراسة ظاهرة سردية الشعر وفضلنا أن تكون عند شاعر من شعرائنا الجزائريين أمثال: مفدي زكريا .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو :لماذا اختيارنا لموضوع يتعلق بالأدب الجزائري؟ ولماذا مفدي زكريا بذات؟

إن الغاية التي دفعتنا لمعالجة هذا الموضوع ونطرق باب هذا البحث هي محاولة لإضافة ثمرة جديدة متواضعة إلى المكتبة الجزائرية بدراسة أكاديمية من شأنها إضافة أشياء جديدة للأدب الجزائري المعاصر .

وقد وقع اختيارنا على مفدي زكريا ليس التقليل من قيمة وأهمية الشعراء الآخرين وإنما لكونه يعتبر شاعر مخضرم عاش مرحلة الثورة الوطنية ومرحلة الاستقلال وكرس أشعاره لتخليد وتمجيد بطولات الجزائر .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الأدب الجزائري يمثل صفحة هامة في الأدب العربي عامة غير أن الفرص التي أتاحت للحديث عنه كان اغتنامها قليلا رغم أنها كانت متوفرة قديما وحديثا على حد سواء .

وفي دراستنا اتبعنا المنهج التحليلي الفني ، إذ قمنا بتقسيم بحثنا إلى : مدخل، فصلين، خاتمة.

• بحيث تناولنا في المدخل المناخ السياسي والفكري والأدبي الذي كان سائدا في عصر الشاعر.

• وفيما يخص الفصل الأول فقد تناولنا فيه بالدراسة حياة الشاعر وكل ما يتعلق به من رحلات ونشاطات سياسية وفكرية.

• أما الفصل الثاني فقد تطرقنا فيه إلى العنصر القصصي عند مفدي زكريا وأسلوبه الذي حقق فيه صفة السرد القصصي في اللهب المقدس من خلال سرد تاريخ الجزائر بأسلوب قصصي .

ثم الدراسة الأسلوبية لمفدي زكريا وفيها تناولنا المستوى الصوتي ، ودرسنا الموسيقى فالصياغة عنده لا تصغي إلى العواطف في وقت تساعد على التعبير عن التجربة.

-تناولنا بالدراسة أيضا القافية وبعدها الإيقاع والذي كان يميز شعره بصورة رائعة ، ثم الوزن الذي يرى فيه أنه لا يصدق إلا على الأشكال المتطرفة ثم الجرس .

-انتقلنا بعدها إلى المستوى المعجمي لندرس الدلالة عنده، فالشاعر يوظف لغته بدلالاتها الحقيقية، وبعدها الجرس الموسيقي، فكل لفظة عنده ذات جرس موسيقي يناسب المضمون الذي تعبر عنه القصيدة.

أما المستوى التركيبي فتناولنا فيه:

-الأسلوب وتقوم الدراسة أساسا على ما للفظ من مميزات خاصة وعلى النظر إلى التراكيب والجمل في بنائها.

-الأصالة وهي تغلغل وتجسد الروح العربية في الأسلوب، فألفاظه كلها تتم عن العربية.

• الفصل الثالث الجانب التطبيقي وتناولنا فيه نماذج شعرية مستخلصين أهم ما تتميز به بعض القصائد والوقوف على مواطن السرد القصصي وهذا على سبيل الذكر والتمثيل لا الحصر.

- ونختتم هذا العمل المتواضع بخاتمة وضعناها وأدرجنا فيها أهم النتائج التي جاء بها هذا البحث. وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نحمد الله العزيز الحكيم ونشكره ونحمده على ما مكننا لا نجاز هذا العمل المتواضع، ونتقدم بأحر الشكر والتقدير لأستاذنا المشرف ونشكره جزيل الشكر على توجيهاته ومساعدته لنا فقد كان خير موجه ومسدد لخطانا ومسيرتنا في هذه المذكرة - شكرا أستاذ- آملين من المولى عز وجل أن يرقى هذا العمل إلى المستوى المطلوب.

المصطلح

أولاً: المناخ السياسي :

لم يكن دخول فرنسا إلى الجزائر سوى مؤامرة دنيئة من الحكومة الفرنسية التي استغلت حادثة المروحة كذريعة للسيطرة على الجزائريين، وقد تم ذلك في 05 جويلية 1830 بعد استسلام الداوي حسين فعاث الفرنسيون في الحبيبة الغالية فسادا، فراحوا يقتلون ويشردون ويخربون المساجد بدليلي ما اعترفت به لجنة التحقيق البرلمانية قائلة: "... لقد كنا أكثر وحشية من السكان الذين جننا لتمدينهم"¹.

ولم تكلف الدخيلة بهذه الأعمال التخريبية فحسب بل راحت تشجع الفرنسيين واليهود على الهجرة إلى الجزائر حيث وصل عدد الفرنسيين في مطلع القرن العشرين أكثر من 120000 نسمة في حين وصل عدد اليهود إلى 140000 نسمة²، غير أن فرنسا وحدها يوجد بها في الوقت الحاضر حوالي 900000 جزائري وجزائرية... تعتبر الهجرة المذكورة ميراثا استعماريا ورثته عادة استقلالها عام 1962 عن فرنسا³.

إضافة إلى قضايا ومشاكل أخرى نذكر منها مشكلة الأمية، مشكلة الفقر، التخلف الاجتماعي التأخر الاقتصادي، الفرنسية للبلاد والإدارة الحكومية، وقد انفتحت معظم آراء الباحثين الاجتماعيين على أن الهجرة من وطن إلى آخر لابد أن تقوم على أساسين رئيسيين. السبب الأول: أن تصبح الحالة في الوطن الأصلي لا يطبقها الفرد أو يبدوا له على الأقل أنها تفوق درجة احتمالها.

السبب الثاني: أن يبدو لطالب الهجرة بلد آخر يتخذه ملائما له مزعما بينه وبين نفسه أنه سيجد فيه ما عز عليه وجوده في موطنه الأصلي.

1 : يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء، دراسة فنية وتحليلية سنة 1987، ص 16.

2 : عبد المجيد عمراني ، النخبة الفرنسية المتنفذة والثورة الجزائرية (1954- 1962) طبعة دار الشهاب 1995 ص 46.

3 : مجلة الثقافة ، العدد 93 ماي - جوان 1986 وزارة الثقافة والسياحة الجزائر ص 33.

أين سيطرت الهجرة على الجزائر من جميع الجوانب الاقتصادية والثقافية مما زاد في سخط أبناء الوطن الأحرار الذين لا يرضون الذل والهوان، فمنذ وقت مبكر بدأت الثورات ضد القوات الفرنسية، بدليل أنه لم تستطع التوغل داخل التراب الوطني (الصحراء) أين راح الأهالي يتصدون لها في كل شبر من هذه الأرض الطيبة، لكن هذه الثورات الشعبية كانت مشتتة هنا وهناك مما كتب لها الفشل.

أين بدأت المقاومة في الغرب على يد الشيخ "محي الدين بن مصطفى" والذي لم يقاوم طويلا ليسلم المشعل لإبنة الشاب " الأمير عبد القادر " الذي بايعه الأهالي يوم 27 نوفمبر 1832 لما يحمله في نفسه من حب للوطن وشجاعة في خوض الصعاب، لكن رغم ذلك استسلم بعد خمسة عشر سنة من المقاومة¹، أما في الشرق كان الحاج أحمد باي بقسنطينة يحارب باسم الدين طيلة سبع سنوات، ليؤول لنفس المصير الذي آل إليه عبد القادر، هذا وكانت هناك ثورات أخرى متفرقة كثورة بومعزة، بوبغلة، والمقراني

من هنا بدأ الجزائريون يعيدون النظر في أمرهم هذا لتظهر بعد ذلك ثلاثة اتجاهات هي على التوالي:

اتجاه الإدماج، تجاه الإصلاح بزعامة جمعية العلماء، والاتجاه الثوري الوطني الذي غاياته الاستقلال التام، وبناء دولة جزائرية مستقلة، الدولة التي فتنت نظرات فرنسا، حيث أدرك الجزائريون أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة بدأت بوادر هذا الاتجاه تلوح في الأفق منذ أواخر الحرب العالمية الأولى مع الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر² الذي أراد أن يوصل القضية الجزائرية إلى الأمم المتحدة لكنه نفي ثم توفي لتبدأ بعد ذلك الحركة الدؤوب في تأسيس الجمعيات والأحزاب المطالبة بالاستقلال التام على رأسها حزب نجم شمال إفريقيا، أين تم تأسيس هذا

1 : يحي الشيخ صالح، المرجع السابق، ص 19.

2 : المرجع نفسه، ص 21.

الأخير بتاريخ 02 جوان 1926 بباريس ويضم ممثلين من الجزائر والمغرب وتونس¹ الذي كان أغلب مناضليه شيوعيين، لكن بعد مدة زمنية راح الجزائريون الوطنيون يطالبون بالاستقلال والتمسك بالسلام والعربية، ليدخل الحزب بعد ذلك في حرب مع السلطات الفرنسية التي يساندها الحزب الشيوعي الجزائري، بحيث حل أكثر من مرة وعطلت الجرائد التي كان يصدرها أيضا، ويوم 26 جانفي 1937 حل الحزب نهائيا، ليحل محله حزب الشعب بعد حوالي ثلاثة اشهر، والذي اصدر جريدة الشعب التي لم يصدر منها إلا عددان فقط وقبل صدورهما كانت فرنسا قد اعتقلت أكثر مناضليه من بينهم مصالي الحاج و مفدي زكرياء وغيرهم².

هذا وبعد الحرب العالمية الثانية بدأ الحزب ينشط سريريا وبدأ الجزائريون يتخلصون من عقدة الشعور بالنقص تجاه الفرنسيين، فنتيجة التجنيد الإجباري الذي فرض عليهم ومشاركتهم في الحرب ضد ألمانيا، اكتشف الجزائري وما يحمله من مميزات كالشجاعة والقوة والإقدام على عكس الفرنسي الذي أظهر ضعفا رهيبا مما أرجع الثقة في نفس الجزائري، استقلال تونس والمغرب وكذا انهزام فرنسا في الهند الصينية في معركة ديان بيان فو³ بدأ الوطنيون الجزائريون يخططون لحرب شاملة تقضي على جيروت فرنسا نهائيا.

وفي أول الأمر كانت هناك مظاهرات 08 ماي 1945، طالب فيها أبناء الجزائر بالاستقلال وتحقيق الوعي الذي وعدتهم به فرنسا قبل الحرب العالمية⁴، لكن هذه المظاهرات قوبلت بالتصدي من قبل العدو الذي أخلف وعده فرح ضحيتها الآلاف من أبناء هذا الوطن الغالي ليصمم كل

1: يحيى الشيخ صالح، المرجع السابق، ص 22.

2: المرجع نفسه، ص 24.

3: عبد المجيد عمراني، المرجع السابق، ص 53 - 55.

4: المرجع نفسه، ص 56.

جزائري غيور على وطنه، على نيل الاستقلال بالقوة بعد أن أحس بالمعاناة¹ فتحد الكل تحت راية واحدة هي الثورة التحريرية في العالم: لوعرفت ثورات العالم حقيقة الثورة الجزائرية لركعت ساجدة² هذه الثورة التي بدا التخطيط لها سرا من طرف اللجنة الثورية للوحدة والعمل، والتي نظمت لها تنظيما محكما في الداخل أين قسمت الجزائر الى خمس ولايات بخمس قواعد، وفي الخارج قامت بإرسال ممثلين لها في الدول العربية للتعريف بها أمام الرأي العام العربي، تحولت اللجنة الثورية للوحدة والعمل فيها إلى جبهة التحرير الوطني وجيشها إلى جيش التحرير الوطني وكل من كان يلوح بيده من الجزائريين الوطنيين في هذه المظاهرات برزوا في جبهة التحرير الوطني حددوا خطتهم الثورية انطلاقا من تلك المظاهرات وكل واحد منهم أيضا كان يتصور بان الثورة المسلحة أصبحت حتمية لا مفر منها، وستفجر عاجلا أم أجلا³ في الأول من نوفمبر 1954 انطلقت أول رصاصة في تاريخ الثورة ولو كانت في الحقيقة خمس رصاصات، ففي الساعة الصفر من هذا اليوم أطلق كل قائد ولاية رصاصته الأولى في الأراضي التي يشرف عليها، مما أكد لفرنسا أن الثورة كانت منظمة من قبل تنظيما محكما، فزعزع استقرارها، وبذلك بدأت تحسب ألف حساب لهؤلاء الفلاقة الذي ثاروا عليها، ونسيت أنهم جزائريون من الدرجة الأولى.

الذي زاد في اضطراب مساندة الطبقة المثقفة الفرنسية للثورة الجزائرية⁴، من بين هؤلاء المساندين فرانسيس جونس، حيث كتب هذا الأخير كتابا بعنوان الجزائر خارجة عن القانون الذي انتقد فيه بشدة سياسة الاستعمار الفرنسي ودافع فيه عن حقوق وحرية الشعب الجزائري.

1: انيس بركات درار، أدب النضال في الجزائر، (من سنة 1954 حتى الاستقلال) سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984، ص 79.

2: عبد المجيد عمراني، المرجع السابق، ص 65.

3: المرجع نفسه، ص 53.

4: المرجع نفسه، ص 70.

إلى جانب زوجة فرانسيس جونسن كولات وصديقه فرانس فانون، وآخرون أنشئوا الشبكة السرية التي كانت تعمل على مساندة الفدائيين والمهاجرين الجزائريين ومساعدتهم على التنقل والتحرك داخل فرنسا¹ وهذا يعد خنجرا طعنت به فرنسا من الخلف.

من مظاهر اضطرابها تعاقب ذلك العدد من المسؤولين على حكومتها، حيث كانت في كل مرة تعين حكومة جديدة تفشل في القضاء على الثورة، فتعيد تشكيل حكومة أخرى وهي سبع حكومات، وكانت آخرها حكومة ديغول الذي اعترف بحق الجزائر في تقرير مصيرها، وقد احدث هذا القرار ضجة كبيرة في أوساط المستعمرين الذين يتنعمون بخيرات الجزائر فراحوا يمارسون ضغوطات على السلطة الفرنسية لتعدل عن قرارها، ظهرت منظمة الجيش السري في مارس 1962، والتي مارست الإرهاب والتقتيل الجماعي وحرقت المحلات والتخريب، رغبة من المستوطنين الأوروبيين في تحويل الجزائر إلى كومة من الأنقاض بعد تأكدهم من استقلالها القريب².

ثانيا: المناخ الفكري والأدبي:

بدأت الحركة الثقافية والفكرية تسير نحو الزوال والتلاشي بعد إن قضى الاستعمار الفرنسي على الأمير عبد القادر، ما صاحب ذلك نفي وهجرة رجال العلم والأدب إضافة إلى سياسة التحصيل التي مارستها فرنسا ضد الجزائريين مما جعل المستوى الثقافي والأدبي يصل إلى الأسفل³.

إن الاستعمار الفرنسي قد أدرك أن حكمه الذي فرضه بالجزائر بقوة البطش والسلاح سيبقى مهددا بالانهيار في أية لحظة مادام في صدور أبنائها إيمان قوي وعقيدة صحيحة، مادامت تجري على ألسنتهم لغة قوية تحمل تراثا أصيلا وحضارة عريقة وقد تشكل من كل ذلك شخصية قوية

1: يحي الشيخ صالح، المرجع السابق، ص 44.

2: المرجع نفسه، ص 44.

3: عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، (تاريخا..... وأنواعا وقضايا..... وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995،

ص33.

تستعصي إلى الإدماج والاستلاب، فكما يرد الإمام عبد الحميد بن باديس على سياسة فرنسا فيما يخص الإدماج قائلاً: إن الشعب الجزائري ليس فرنسيا ولا يريد أن يكون فرنسيا وحتى لو أراد فلا يستطيع أن يكون فرنسيا لأنه بعيد كل البعد عن فرنسا بلغته وعاداته وأصوله ودينه وان التجنيس الذي هو في الحقيقة اختيار جنسية غير إسلامية للمسلمين ينطوي على التكر للشرائع المقدسة التي تنظم شؤون حياة المسلمين وتضع لهم قوانين دينية وبشرية¹.

بهذا سد عبد الحميد بن باديس الطريق أمام هذا المشروع الذي تحلم به فرنسا لأنه أحاط بفتواه جميع الجوانب العقائدية والوطنية وبين الهوة الساحقة بين العقيدتين الإسلامية والمسيحية.

لذلك كانت فرنسا تسعى جاهدة لطمس الشخصية الإسلامية في الجزائر لأنها كانت تعلم أن الإسلام هو مركز القوة وهو الذي يهدد وجودها في الجزائر، لذلك عملت منذ البدء على أن تنشأ جيلا بعيد عن المبادئ الدينية، فوكلت هذه المهمة لدعامة التبشير المسيحي الذي كان يعول عليهم حيث نجد الجنرال Bugeaud يقول للأب المسيحي Brino، حاول يا أبتي أن تجعلهم مسيحيين وإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار² ولكي يصل هؤلاء إلى هدفهم لجأوا إلى اللغة العربية باعتبارها لغة القران، وراحوا يشجعون على دراسة الفرنسية والتخلي عن العربية عن طريق تنصيب أئمة المساجد سوى دمي متحركة تبرمجها فرنسا وفي النهاية ضعف المستوى الأدبي، وشاعت الركافة في الكتابات الأدبية حيث غزتها العجمية في التعبير والتركيب، كما راح الأدباء يهتمون بالشكل على حساب المضمون، فشاع السجع فيما يكتبون وهو الطابع الذي ميز ذلك العصر، الذي نجده واضحا جليا فيما كتبه محمد بن إبراهيم 1806 الذي كتب سنة 1849 قصة بعنوان حكاية العشاق في الحب والاشتياق، فزيادة على ضعف مستواها الأدبي كانت دليل

1: حواس بري، شعر مفدي زكرياء، دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص36، عن بسام العسيلي، بناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفاش بيروت 1982، ص130.

2: يحيى الشيخ صالح، المرجع السابق، ص18.

على الوضع الذي أصبح عليه المجتمع الجزائري من تفسخ نتيجة لخيبة الأمل الكبيرة التي أصيب بها¹.

1. الصحافة:

إذا كانت فرنسا قد أصدرت قانون حرية الصحافة سنة 1881 ونصت المادة 69 منه على انه ساري المفعول بالجزائر أيضا، فان السلطات الاستعمارية بالجزائر ضربت بذلك القانون عرض الحائط وسنت محله الرقابة الشديدة واستهدفت السياسة بصورة خاصة الصحف العربية لغة، الوطنية مضمونا واتجاهها، وعرفت هي الأخرى الإرهاب والاستشهاد(03).

فما أن تصدر أعداد قليلة من صحيفة عربية لاتتملق الاستعمار ولا تبارك مساعيه، حتى يلاحقها ويضيق عليها الخناق، ثم لاتلبث نتيجة صمودها وتحديها أن تخر شهيدة بفعل قرار التعطيل، ويكفي أن يشير إلى أن الجزائر عرفت في فترة ما بين مطلع القرن والأربعينيات منه عشرات الصحف العربية، كانت جميعها قصيرة العمر بل أن بعضها لم يرى النور إلى أعدادا قليلة قد تتجاوز الثلاثة وكانت نهايتها جميعا الوأد في عز النشاط والرواج.

غير أن هذا الإرهاب المسلط على الصحافة بل نقول على الثقافة العربية بشكل عام، لم يزد الحياة الثقافية الوطنية إلا نشاطا ولم يزد الشعور الرافد إلا تأججا واثقا، فربط في جبهة الصحافة رجال صمدوا أمام الجبروت والإرهاب وأدوا رسالتهم كاملة، حتى استشهدوا فكريا من أمثال عمر بن قدور أحد رواد الصحافة بالجزائر (1886-1932) انشأ جريدة الفاروق سنة 1913، فأوقفها الاستعمار سنة 1915 ونفاه إلى الجنوب، ثم أعاد إصدارها مرة ثانية سنة 1920²، لكن الإرهاب الفكري الاستعماري جعل ابن قدور إلى مهادنة الاستعمار والى اعتزال الصحافة، فاختر الحل

1: يحيى الشيخ صالح، المرجع السابق، ص35.

2: يحيى الشيخ صالح، المرجع السابق، ص33.

الثاني فتصوف وانتهى فكريا، بالرغم من انه لم يتوقف إلا في سنة 1932، وهذا ما نقصده بالاستشهاد الفكري إضافة إلى جريدة الفاروق هناك جريدة الشعب لسان حزب الشعب الجزائري التي صدر منها عددان فحسب سنة 1937، إضافة إلى جريدة ميزاب لأبي اليقضان التي صدر منها عدد واحد فقط سنة 1939 والسبب الوحيد لتوقفهما التعطيل الاستعماري¹.

وهناك أيضا جريدة النجاح التي قد عمرت 57، إلا أن هذه الأخيرة لا تلبث نتيجة صمودها وتحديها أن تخر شهيدا بفعل التعطيل²

يمكننا القول أن المشروع الفرنسي الذي يرمي إلى محاربة الجزائر بالجزائريين هو الوحيد الذي يأتي بنتيجة عكسية لأهدافه، بل إن تاريخ الاستعمار عبارة عن سلسلة من المشاريع حققت نتيجة مناقضة مما يرمي إليه أصحابها، ومثالا عن ذلك: أن الاستعمار زج بالجزائريين في الحربين العالميتين للدفاع عن فرنسا وكسر شوكة الجزائريين، لكن النتيجة ان الحربين كانت بالنسبة إليهم وسيلة الاطلاع على كفاح الشعوب والصراع القائم بينها لتحقيق الذات، فعاد من نجا منهم من الموت إلى الجزائر يحمل شعله الثورة والرفض.

كان للجزائريين صلة بالمشرق بطرق غير مباشرة حيث تصلهم الصحف بطرق سرية ومن هذه الصحف صحيفة المؤيد التي كانت تدعو إلى اليقظة والإصلاح الصحف المشرقية كانت تقرا في الجزائر بشغف مع أنها ممنوعة من قبل الاستعمار ولا تصل الجزائر إلا تهريبا³.

إلى جانب مجموعة الجرائد والصحف التي أنشأها العلامة عبد الحميد بن باديس مع زميله الشيخ البشير الإبراهيمي منها: الشهاب، البصائر..... وغيرها.

2. الأدب:

1: المرجع نفسه، ص18.

2: المرجع نفسه، ص34.

3: يحيى الشيخ صالح، المرجع السابق، ص33.

نستطيع القول أن المناخ الأدبي جزء من الحياة الثقافية العامة، ورافد من روافدها، ولعل الذي جعل الصحافة تتعرض للإرهاب الذي أسلفنا الكلام عنه، وهو كونها وسيلة لنشر الأدب الذي يصل من خلالها إلى جمهوره من القراء إذ أن حركة النشر كانت ضعيفة جدا. ولعل في حديث محمد الهادي الزاهي ، الذي جمع تراجم شعراء جزائريين وشيء من شعرهم وأخرجها في كتاب اسماء شعراء الجزائر سنة 1926. أينيقول"ولقدتعاوررتي الرياح أتعابا في جمع هذا الكتاب حتى أوشكت أن أغادر الأمر واعدم الصبر، وماذا عساک تجد من الإسعاف في الأمة أدباؤها معدمون، وأغنياؤها جاهلون لا تسمع لهم في الصالحين ركزا، مع ما للاستعمار من توغل وللجهل من تأصل¹ .

إن الأدب الجزائري قد أصيب بركود شامل طوال القرن التاسع عشر، فلا نكاد نعثر في السبعين سنة الأولى للاحتلال إلا على أدب هزيل ركيك في جانبيه المضمون والشكل ، فهو لايعرف غير المدائح وقصائد المناسبات ميدانا له ويبقى بعيدا عن المجتمع والسياسة ومعتك في الحياة. ومن هنا أحس الأدباء والمفكرين بخطورة الوضع، خاصة بعد أن لاحظوا الفرق الشاسع بين سياسة العدو في الجزائر وسياسته في فرنسا. وفي أواخر القرن التاسع عشر بدا الشعور بضرورة النهوض يسري في عروقهم، وبذلك للنهضة العربية في المشرق الأثر الأعظم في نهوضهم. فقد كان اتصالهم بالمشرق بطرق، فمبايعة أحمد شوقي -مثلا- بإمارة الشعر كان لها صدى في الجزائر وخلدها أكثر من شاعر، ووفاته ووفاة حافظ إبراهيم كان لها أثر بالجزائر، فقد رثاهما كثير من شعرائها بل أنه أقيم في بعض النوادي احتفالات تأبينية لهما مثل الحفل الذي أقيم بنادي الترقى سنة 1934، وألقيت فيه خطب وقصائد تناولت الشعارين ودورهما في النهضة الأدبية والشعرية، وانتهى الحفل بإرسال برقية إلى الشعب المصري عبرت عن مدى مشاركة الجزائريين إخوانهم بالمشرق² .

1: المرجع نفسه، ص ص 34-35.

2: عمر بن قينة، المرجع السابق، ص36.

إضافة إلى ذلك إن القضايا التي عاشها المشرق العربي في جميع مجالاته كان لها اهتمام لدى الشعراء والكتاب الجزائريين ولا سيما ما يتعلق بالصراع ضد الاستعمار. وهكذا شرع الوضع الثقافي ينبعث بالجزائر أين ظهر كتاب مختلفون عن أولهم "المجاوي" (1948-1914) كشخصية متميزة بفكرها وطموحها إلى النهضة، وأملها في التغيير والإصلاح¹، وقد حرك هذا الرجل دواليب الحركة الفكرية بدروسه، وترك مجموعة من الآثار القيمة التي يستثني منها الخلف كل المعاني العظيمة والتي تعد اللبنة التأسيسية الأولى للسير الإصلاحية والإنعاش الثقافي، الذي ازداد في عهد شارل جونار الذي حاول إن يكسب المثقفين الجزائريين لصالح فرنسا لكل فشل في تحقيق ذلك "كما تخرج على يد المجاوي كل من الشيخ حمدان لونيبي المولود بن الموهوب وعبد الحميد بن باديس هذا الأخير الذي أسس جمعية العلماء المسلمين، وكان أب الجزائريين في تلك الفترة لان أفكاره ساهمت في تسوية التربية الصالحة لبعث الجزائر في القرن العشرين².

أما بعد ذلك "فقد ظهر مؤلف يعد من الكتب القيمة من التراث الفكري الجزائري وهو تعريف الخلق برجال السلف الصالح أبو القاسم الحفناي³ الذي قال في مقدمته أن القطر الجزائري قد اجتهد قديما في طلب العلم بجميع أسبابه، واثاه من سائر أبوابه، ووقف على معقولة ومنقولة، فتمكن من أصوله وفصوله، وكان لعلوم عصره جامعا، ولرايتها رافعا مثل أخويه المغربيين الأقصى والأدنى، فظهر في الأقاليم بدره، واشتهر في التاريخ قدره إضافة إلى رجل من أهم رجال الفكر والأدب محمد بن أبي شنب (1869-1929) من أهم الآثار التي تركها نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار وكان لهذه الشخصية الفضل العظيم في توجيه مسار الحركة الأدبية الوجهة السلمية نظرا لنشاطه داخل الوطن وخارجه⁴.

1: المرجع نفسه، ص 149.

2: المرجع نفسه، ص 125.

3: المرجع نفسه، ص 36.

4: عمر بن قينة، المرجع السابق، ص 45.

وأما من ناحية الشعر فقد وجدنا في هذه الفترة ثلاثة أسماء لامعة: محمد بن عبد الرحمن الديسي (1854-1921) وعاشور بن عبيد الحنفي (1854-1929). وعمر بن قنور (1886-1932) وكل واحد من هؤلاء الثلاثة كان تكوينه دينيا، لكن كان الخلاف بين الأول والثاني، حيث كان الأول سني متواضع والثاني طرقي متطرف مما أدى إلى الصراع بليينهما، خاصة بعد ظهور كتاب منار الأشراف الذي مدح فيه الحنفي مدحا مبالغا فيه، والذي رد عليه الديسي بكتابه هدم المنار ورغم هذا الصراع إلا أنهما كانا على درجة عالية من العلم والثقافة ولهما مستوى أدبي وفكري عالي، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الصراع قد أثرى الحركة الأدبية بتلك المؤلفات¹.

أما ابن قنور فقد كان صحفيا وشاعرا بحس وطني وقومي وإسلامي ناضج مما سمح له بأن يكون احد الأقطاب البارزين في الحرة الفكرية الجزائرية، ومهما يكن في شيء فقد مثل هؤلاء الشعراء الثلاثة إلى جانب المجاوي والحفناوي وبين أبي شنب وعبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي فترة الخروج من الغيبوبة إلى إرهابات جديدة واعدة بحركة ثقافية أدبية نشطة في مناخ سياسي جديد².

وهكذا كان الأدب الجزائري الملتزم بقضايا الجزائر والأمة العربية والإسلامية صورة عن نفسية الشعب الجزائري، الراض للاستعمار والتمسك بعرويته وإسلامه، والمتثبت بالصلة التي تجمعها بإخوانه في الوطن العربي الكبير.

كما كان صورة للثقافة التي حاول الاستعمار جاهدا خنق أنفاسها بعزلها عن منابعها، وبحرمانها من جميع الوسائل ابتداء بالمدرسة والكتاب وانتهاء بالمطابع وحرية النشر والصحافة. ولذلك جاء أدبا قويا في مضمونه الثوري ضعيفا في مستواه الفني إلا عند بعض الكتاب والشعراء ممن حققوا مستوى إبداعيا رفيعهم إلى مطاف الشعراء العرب الممتازين.

1: المرجع نفسه، صص 46-50.

2: المرجع نفسه، ص 52.

وفعلا نشطت الحركة الأدبية في هذا المناخ السياسي المكهرب، فظهرت طائفة من الأدباء الذين حملوا على عاتقهم مهمة الدفاع عن هذا الوطن وعن أبنائه، والتأريخ لثورة اقل ما يقال عنها أنها ثورة المليون ونصف مليون شهيد، وعلى رأس هؤلاء الشاعر المكافح والأبي شاعر الثورة وقائل العبرة مفدي زكرياء، وقد التزم هذا الأخير بالمضامين الوطنية وكان مجاله الثورة واستنهاض الهمم متمسكا بعروبته وإسلامه الذي حاول الاستعمار جاهدا طمس معالمه في قلوب أبناء الجزائر الحبيبة، لكن هيهات أن ينال ما يصبوا إليه فنقول ونعيد:

شعب الجزائر مسلم **** والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصل **** أو قال مات فقد كذب

وما شعر مفدي زكرياء إلا على ما قاله العلامة عبد الحميد بن باديس، فقد ظل متمسكا بجزائريته وإسلامه وعروبته، حتى ظهر الحق وزهق الباطل وسطعت شمس الحرية فوق ارض الجزائر العربية الأبية.

إضافة إلى الأدب في فترة الاحتلال الفرنسي في عهدها الأول بالذات عاش في نطاق محدود جدا وبملاح باهتة جامدة وانحصرت موجته، وانكمش مفهومه، لا يكاد يتخطى عتبة الزاوية مادحا أو متضرعا، وانطمت في الشكل كل معالم الحيوية فلم تبق له أجراس التفعيلة المقفاة في المنظومة المديحية¹.

الجزائر لما عرفت نهضة في الصحافة، كان الشعر كالمسكة المختلفة توضع في الماء فدبت فيه الحياة وسرت في مفاصله رعشة الحيوية، فطالت نفسه في البث طول نفسه في الكبت، وعائق الصحيفة وأمطرها قبلات، وهال وكبر لمطلعها، واستبدل الدمعة بالبسمة، وطارد اليأس بالأكل وأقام العرس مقام المأتم وكان الصحافة فتحت له الفتح المبين².

1: صالح خرفي: شعر المقاومة الجزائرية، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص7.

2: المرجع نفسه، ص189.

ردت الصحافة التحية بأحسن منها، فرفعت منبرها للشعر يصدر عليه بمكوناته، ويصدع فيه بأمانيه، ورحبت صحافته الأولى لمطولاته وحوليائه بل جعلته لسان حالها، قد دغدغت آمال الشعب بأنفاسه وخواطره، استنهضت عزائمه بأوزانه وقوافيه، وربما تزاومت الصحف في اجتذاب الشعراء إليها ونسبت كل شاعر إلى اسم جريدة يكون الدمع في أحزانها والبسمة في أفراسها¹ وقبل أن يتخذ الشعر الصحافة منبرا للاماني القومية ومنطلقا للعزائم الحائرة، اتخذها منبرا للأساتذة بالصحافة نفسها والتنويه بها، وبرسالتها في مجتمع كالمجتمع الجزائري يعاني من الانحطاط الفكري والثقافي.

يقول رمضان حمود²:

إنالصحافة نور البلادإذا **** سارت موفقة في أحسن السبل
هي فؤاد لشعب قد غدا سكنا **** هي الحسام طويل الحول والحيل
هي اللسان لها حكم وسيطرة **** هي الرسول لدى الأجناس والدول
هي الطيب يداوي من به مرض **** من الجهالة أو ميل إلى الزلل
تهذب القوم بالصلاح ترشدهم **** وتدفع الجور كالإرهاق والختل
فأمة نبذته. لم تنل ابد **** ماترتجي الحياة العزة لم تصل

1: المرجع نفسه: ص 190.

2: المرجع نفسه.

المفصل الأول:

حياة الشاعر مفدي زكريا

*حياته:

1. نسبه :

اسمه الكامل : هو مفدي زكريا بن سليمان الشيخ صالح ولد سنة 1908 في واحة بني ميزاب بقرية بني يزقن جنوب (إفريقيا) الجزائر ، وكان جده الشيخ صالح بن يحي تربطه بالسلطة العثمانية معاهدة حماية و ظلت سارية المفعول طوال عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر حتى سنة 1880¹.

2. أسرته :

أما أسرته فتتحد من بني رستم الذين أسسوا مدينة تيهرت في القرن الثاني من الهجرة والتي تعرف اليوم بمدينة تبارت غرب الجزائر ، ودولة بني رستم هي أول دولة جزائرية ذات سيادة كاملة غير مرتبطة بتبعية لا إلى الحفصيين ولا إلى بني زيان ، دامت قرابة قرنين وتحقق وعهدها لأول مرة في التاريخ توحيد المغرب العربي الكبير²

3. ثقافة مفدي زكريا وأساتذته:

التحق مفدي زكريا بالكتاب كغيره من أبناء القرية ليحفظ القرآن ، ويتعلم ما تيسر له من علوم الشريعة الإسلامية ولما بلغ السابعة من عمره التحق بأبيه إلى مدينة عنابة شمال الجزائر حيث كان مركز تجارته وظل الفتى (مفدي زكريا) يتردد بينها وبين مسقط رأسه حتى أذن الله ببني ميزاب أن يلجوا أبواب الحياة الجديدة ليأخذوا بأساليب النهضة الثقافية وكان مفدي من بين أفراد البعثة العلمية التي قصدت تونس للأخذ من مناهلها العلمية العذبة تحت رئاسة أساتذة فضلاء ويعدون من الكبار أمثال: الشيخ محمد التميمي ، أبو اليقظان والشيخ ابراهيم بن الحاج عيسى

1 : حواس بري : شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، عن جريدة الشعب الثقافي ، الجزائر بتاريخ 5 أوت 1972 ص 27.

2 : المرجع نفسه ص 27.

صالح بن يحيى وإبراهيم أطفيش وعلى يد هؤلاء العلماء وغيرهم تلقى مفدي دروسا دينية وأخرى في الوطنية.

التحق مفدي بمدرسة السلام القرآنية ، ومكث فيها سنتين وكانت هي المدرسة التي تلقى فيها مبادئ العربية والعلوم الكونية على يد ثلاثية من الأساتذة : الشاذلي الموالي وعبد العزيز الباروني وصالح بن الأحمر حيث تلقى مفدي على يد هذا الأخير مبادئ اللغة الفرنسية ومن هذه المدرسة "السلام القرآنية" تحصل مفدي على الشهادة الابتدائية في العربية.

ثم التحق بالمدرسة الخلدونية وفيها درس الحساب والهندسة ، الجبر ، الجغرافيا ، والتاريخ... ثم بجامعة الزيتونة وفيها ساحت له الفرصة أن يطلع على كتب ذات أهمية بالغة في النحو والبلاغة والأصول ومن بينها كتاب الشعر والشعراء ابن قتيبة والتتقيح للقراي وفقه اللغة للثعالبي .

وكان مفدي يحضر الندوات التي كان يديرها الأديب العربي الكبادي في الأدب في مدرسة "الترجمة للغة العربية العليا " ثم التحق مفدي بالمدرسة الخلدونية مرة ثانية ونال الشهادة الثانوية منها¹.

"ومما يسجل للعلماء -آن ذاك- أنهم لم يكتفوا بتلقين النشا دروسا في اللغة وآدابها والشريعة ومقاصدها فحسب ، إنما كانوا حريصين على تكوينهم سياسيا ودينيا وثقافيا وقد كان لتلك التربية انعكاسات على مفدي وكان بذلك فهو الشاب الوطني والرجل الثوري والشاعر الصارخ في وجه أعداء الوطن والعروبة والإسلام بالكلمة الثائرة والطلقة الشجاعة"².

1 : محمد الهادي السنوسي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، الشركة التونسية للنشر 1962 ص 151.

2 : حواس بري:المرجع السابق ص 28.

ويضاف إلى جهد أساتذته نشأته في حضن عمه الشيخ صالح بن يحي واحد الأقطاب الثلاثة الذين أسسوا الحزب الدستوري التونسي وغدوا الحرب الطرابلسية بما كانوا يجمعونه من أموال تونس والجزائر خاصة.

كما فتح مفدي زكريا عينه على شخصية الزعيم الوطني الكبير "عبد العزيز الثعالبي" الذي كان يتردد على بيتهم باستمرار بحكم الصداقة التي كانت تربطهم بالشيخ صالح -عم مفدي- الذي كان يرى في شخصه نموذجا للغيرة الإسلامية والوطنية المتدفقة .

وفي أحضان البعثة الميزانية في تونس تلقى مفدي دروسا في الوطنية والدين على يد رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، يعلمون النشأ بأفعالهم قبل دروسهم من أمثالهم : أبي إسحاق ، إبراهيم أطفيش ، أبي اليقضان

وفي هذه البعثة التي كان جوها حافلا بكل البرامج التي تعمل على تعلم على أن تجعل من النشأ الفتى الوطني ، والرجل المسلم والمسؤول القادر على تدليل المصاعب التي تقف حائلا دون تحقيق امانيه وتطلعاته أولها الاستعمار الفرنسي " فلا عجب اذا أن نجد باعث النهضة الثورة الجزائرية عبد الحميد بن باديس يهتز لهذا الجو المفعم بالنشاط الذي يعزز أوامر القوة في شباب منهم شاعرنا الذي أصبح فيما بعد شاعر الثورة الجزائرية وشاعر المغرب العربي الكبير"¹.

4. شخصيته :

إن شخصية مفدي زكريا كما يحكي عنه أصدقاؤه الحميمين تمتاز بالانفتاح والبساطة وعدم الانطواء والتعقد فقد كان قمة في الأخلاق ، سمح الطبع لطيف المعشر ، كثير الميل إلى التكتيت والدعابة ، دائم التبسم لا تفارق البسمة محياه ، سريع الا نسجام مع الآخرين بحيث يخيل للذي يتعرف عليه أول مرة ويحادثه في أول لقاء أنه يعرفه منذ أمد طويل بعيد في

1 : حواس بري :المرجع السابق ص 28.

علاقاته مع الآخرين عن التصنع والتكلف كريم غلى حد التصور بمد يد المساعدة لأصدقائه دون تحفظ .

"ومن جهة أخرى كان معتمدا بشخصيته من غير صلف ولا كبرياء يتشبث بآرائه ومواقفه يحب دائما أن يكون سيد مواقفه واختياراته رافضا التبعية، شديد الصراحة والجهر بآرائه التي يؤمن بها، مما عرضه لكثير من المشكلات والمضايقات " ¹ ولقد كانت تراود مفدي آمنيات كثيرة في حياته :

أولا: أن يجمع شعره الذي قال منذ بداية مرحلته الشعرية في العشرينيات إلى سنة 1954 لأنه موزع بين جرائد ومجلات مختلفة ، وقد صعب تحقيق هذا الشاعر نوعا ما نظر إلى أنه يتصف بعادة غير محمودة في هذا المجال وهي أنه لم يستعمل -أبدا- كراسا أو دفترا يدون فيه ما ينظم من شعر كما يفعل أغلب الشعراء ، بل كان يسجل قصائده في أوراق مستقلة سهلة الضياع ، ثم أن أكثر قصائده لا يملك نسخا عنها بينما يملكها أصدقاؤه والمهتمون بشعره .

ثانيا: أن يكتب مذكرات حياته خاصة السياسية والنضالية منها منذ التحاقه بحزب نجم شمال إفريقيا في الثلاثينات ، وهو يعتقد أنها ستكون مهمة وثرية ومثيرة أيضا ، لانه عاش جميع أحداث الحركة الوطنية منذ نشأتها ، وكان من أقطابها واحتك بجميع الشخصيات التي كان لها دور هام في الحركة الوطنية بصفة عامة والثورة المسلحة بصورة خاصة، وكان يقول: "إن أمثال العربي بن مهدي وعبان رمضان من أصدقائي الحميمين، بل من تلاميذي في حزب الشعب وأعرف عنهم الكثير"²

"ومن المؤسف أن مفدي زكريا لم يكتب له تحقيق أية أمنية من الأمنيتين فإذا كان جمع شعره بمستطاع الآخرين يقوموا به حتى بعد موته فإن كتابه المذكرات تعتبر خسارة فادحة لا يمكن

1 : يحي الشيخ صالح ، شعر الثورة عن مفدي زكريا ، ص 49.

2 : المرجع نفسه، ص 49.

تعويضها أبداً لأن أمثاله الذين جمعوا بين النضال الحقيقي الفعلي وبين المستوى الأدبي الذي يمكنهم من الكتابة هم قليلون جداً و المنية تخطفهم واحداً تلو الآخر " ¹.

" لقد تمز مفدي عن غيره من الشعراء بحبه للانتصار في كل المواقف فقد كان طموحاً لا يكتفي بالقليل من المعرفة ظل طول حياته لا يخضع للذل ولا يحب الدنيا من الأشياء ، ورغم شهرته الفاتحة ومظهره الأنيق فهو متواضع لطيف حسن المعاشرة .

وظاهرة التحدي من المميزات التي عرف بهام فدي ، وكان شعاره كما يحكى عنه زميله الأستاذ "البشير أهانو" قول أبي فراس (لنا الصدر دون العالمين) كان رجلاً متفقا البنان ينفق على من جمعته بهم الجلسات وعلى من عضهم الدهر بنابه " ².

كان يحب المناظرات مع الفقهاء وقد كثر الجدل بينه وبين الشيخ إبراهيم بيوض رحمة الله عليه وعرف مفدي ببتزفه وترفع عن السخافات والمناظرات التي لا فائدة منها ولا طائل تحتها وكان لا يحبذ النقاشات العقيمة ، ومن ذلك أن جريدة المرصاد (1931-1933) كانت تنتقد مناهضي "جمعية العلماء" بمقابلات فارغة المضمون الفكري ، حافلة بالسب والشتم والطعن في الأشخاص ، ولما طلب صاحب الجريدة إلى مفدي أن يدلوه في هذه المعركة رد مفدي قائلاً لمدير الجريدة: "أنصحك وجهك نحو الأبحاث الحيوية الحقة ، وأن تستخدم مواهبك الطيبة في النهوض بأمتك إلى تأسيس المعاهد العلمية والمدارس الحرة لتنتقيف عقول أبنائها وإلى تأسيس النقابات التجارية إلى إنشاء النوادي الأدبية لربط صلات التعارف بين عائلة الأدباء المشتتة هنا وهناك وإلى مقاومة الأخطاء الاجتماعية التي تهدد قوميتها وديننا الإسلامي المجيد" ³.

1 : يحيى الشيخ صالح، المرجع السابق، ص 50.

2 : حواس بري، المرجع السابق، ص 50.

3 : المرجع نفسه، ص 51.

وهنا تظهر شخصية مفدي الوطنية التي تعاف الهزل وتترفع عن القبيح من الأفعال والرديء من الأفكار التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

ويسعى بدوره لينير الطريق إلى أبناء مجتمعه حتى لا تفوتهم فرصة الهجوم على العدو والرد عليه بالاتحاد والتضامن في كل ما يعود على أبناء الوطن بالخير والمنفعة.

أسهم مفدي زكريا في مشاريع تجارية كثيرة لم يكتب لها النجاح والريح في أغلبها وهكذا كان يقاسي مقاساة شديدة في مشروعاته الاقتصادية ويعاني معاناة ما أدركه حرفه الأدب " فل يكتب له حسن الحظ فيحقق الثراء والرخاء الذين كان يحلم بهما ويرغب أن تكون حياته قائمة عليهما والذي يبدو من خلال تطورات حياته والأعمال التي تقلب فيها أنه لم يستطع الابتعاد عن ميدان السياسة والثقافة والشعر والفن هذا ماكان من أهم الأسباب في عدم نجاحه في الميدان التجاري الذي امتننه طوال حياته ، على أن انشغال مفدي بأعماله التجارية الخاصة لم يشغله قط عن المشاركة في الحياة السياسية التي عرفتها الجزائر ولا سيما بعد الاحتفالات الاستعمارية المئوية لاحتلال الجزائر"¹.

وعرف مفدي مند مطلع شبابه ، الكدح في سبيل لقمة العيش ولقي في سبيلها الإرهاق والتعب، وقد عمل أجيرا بسيطا في محلات تجارية متعددة في كل من قسنطينة والجزائر وعمل ممثلا متجولا لمحلات تجارية لبيع القماش وغيره وتنقل في العاصمة بين دكاكين عدة فكان له شارع لابير في بداية الثلاثينيات محلا للنيابة التجارية والاشهار التجاري لبيع العطور " ما لبث أن تحول إلى محل آخر لبيع الحليب ومشتقاته ثم فتح في الأربعينات محلا لبيع القماش سماه "دار السلام" في نهج بوتان سابقا انتقل بعده إلى محل آخر في نهج بلوندون"².

5. شاعريته:

1 : محمد ناصر : مفدي زكريا شاعر النضال والثورة طبعة ثانية مزيدة ومنقحة ، نشر جمعية التراث العطف ، غرداية ص 12.

2 : المرجع نفسه ص 11.

برز مفدي إلى الحياة الأدبية ضمن تلك التلة من الشعراء التي ضمها المؤلف الأستاذ محمد الهادي السنونسي : " شعراء الجزائر في العصر الحديث " .

وقد كانت هناك عوامل ساعدت الشاعر على الظهور إلى معترك الحياة الأدبية بالرغم من صغر سنه ومن أهمها : تميز البعثة الميزابية عن غيرها من البعثات الجزائرية في تونس ، فقد حظيت بعلماء كانوا على أهبة لتكوين من عليه يعول في جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية .

في هذه البعثة التي شهد لها الإمام عبد الحميد بن باديس بالصلاح والأخلاق وبالابتكار في المنهج الذي انعكس تطبيقه على البعثة الميزابية والتي كان مفدي أحد أبنائها حيث وجد المجال أمامه مفسوحا والفرصة متاحة فأدلى بدلوه في كل نشاط تقوم به الجمعية " ونذكر على سبيل المثل لا الحصر " مجلة الوفاق " التي خصصتها البعثة للناشئين ، يديرونها بأنفسهم ويحبرونها بأقلامهم"¹.

وهنا نجد لمفدي زكريا فضلا كبيرا على هذه المجلة لما كان يمدّها من جهده ووقته بوصفه رئيس تحريرها وخطاطها الذي يكتب كل صفحاتها بخط يده كما كان لهذه المجلة صنيع على مفدي تجلا في إتاحتها الفرصة أمامه لأن يكتب فيها ما أملاه عليه عقله من فكر، وما جاءت به قريحته من شعر أو قصة أو غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى.

ويضاف إلى دور البعثة الميزابية في تونس دور البيئة التونسية التي عاش فيها مفدي، وفتح عينه فيها حيث الأندية الأدبية كثيرة والصحف التي فتحت أبوابها في وجه كل من كان له طموح واستعداد لأن يدخل في معترك الحياة السياسية والفكرية والأدبية .

1 : حواس بري، المرجع السابق، ص 31.

"هذا عن الأسباب التي لعبت دورها في شاعرية مفدي أما عن الأسباب الخاصة فتغزوها إلى استعداد مفدي نفسه حيث كان صاحب شعور مرهف وإحساس رقيق ونفس طموحة إلى كل ما هو سام"¹.

6. بيئته وزمانه:

هبت رياح التحرر مع مطلع القرن العشرين وتعالق حناجر المضطهدين تنادي بالحرية من كل أصقاع العالم، فمع بروز الحركات الإصلاحية وظهر الجرائد الحاملة للقاح التوعية، بدأت بوادر الانفراج تظهر للعيان يوما بعد يوم لأن ليل الاستعمار قد طال والشعوب تنن تحت صدمات الرجال القادمين وراء البحار، الحاملين الحديد والسلاسل، الباحثين عن الدفء لأن بلادهم الباردة كانت بحاجة ماسة لاستغلال خيرات هذه الشعوب المقهورة.

انفتحت حركة البلاشفة لتدرك سطوة وجور الإقطاع الذي انتهى زمانه سنة 1917² ايذانا لبداية النهاية ، ورفرفت الأعلام التي طويت لفترة مغلقة عن حرب ضروس بدايتها الكلام ونهايتها الرصاص وفي هذه الفترة كانت الدنيا منشغلة بالحرب الكونية الأولى ومعدة للحرب الثانية التي أتت على الأخضر واليابس "بدأت ملامح الانفراج التدريجي بالمظاهرات التي شنّها العمال في سكيكدة وطائفة أخرى من المدن الجزائرية ليظهر على الساحة السياسية -الأمير خالد- مدشنا حربا لم يعرف الناس نهايتها في البداية ، إلى الحركات التمهيدية التي ولدت "نجم شمال إفريقيا"³.

إن ظهور "نجم شمال إفريقيا لم يكن حدثا عاديا ككل الأحداث السابقة بل كان تدشينا لظهور وجه العملة الخفي الذي لم يتوقع الاستعمار بروزه دون سابق إنذار.

1 : حواس بري ،المرجع السابق، ص32.

2 : بلحي الطاهر: تأملات في البداة الجزائر لمفدي زكريا، المؤسسة الوطنية للكتاب 3شارع زيغود يوسف الجزائر 1989 ص 37 .

3 : المرجع نفسه ص 37.

ولم يحسب له حسابه الفعلي إلا بعد أن بدأت تفريخاته تتفرع مشكلة أيادي أخطبوطية تلتهم كل ما تصادفه من خير جنسها.

يضاف إلى هذا اطلاعه على أمهات الكتب واللغة وآدابها ، كما لا ننسى اطلاعه على بحور الشعر وقواعد العروض بفضل أستاذه "الشاذلي خزن دار " في تونس كما بدأت معالم النبوغ مبكرا عند الشاعر ويشهد له بذلك الأستاذ "سليمان بوجناح" أحد أتريبه الذين كانوا في البعثة الميزابية فقد كان مفدي مثار إعجاب لما أوتي من ذكاء وقاد حضور بديهية وإحساس رهيف وشعور متدفق ولقد كان يطلب إليه أساتذته أن يطلعهم على ما أنتج من شعر ونثر فكانوا يشجعونه على المضي قدما في قرض الشعر ونظمه في المناسبات العابرة ، وفي الأحداث الهامة حتى أصبحت روح المبادرة طبيعة الشاعر وتشجيع أستاذه له¹.

7. باكورة إنتاجه:

كان أول شعر يدخل بهم فدي إلى مسرح الحياة الأدبية تلك القصيدة التي نظمها في رثاء أضحية العيد، ساعة قدمت الأضحية للزكاة وكانت بعنوان "كبش الفداء" -وحين ذاك- رق قلب الشاعر واهتزت نفسه لذلك فقال قصيدة مطلعها:²

لهفي على شاة لنا قد قيدت ***** الذبح وهي نقي الأدران

استضعفوك فلذ لحمك عندهم ***** هلا استلذوا لحم ليث قاني

ومن أجل تلك الأضحية التي شاهدها أضرب ستين يوما عن أكل اللحم، ثم تراجع وعزم أن يأكل ما اشتتهت نفسه من لحوم متأسيا في ذلك بالجاحظ على حد قوله.

أما القصيدة الثانية فكانت بمناسبة تأسيس "جمعية شمال إفريقيا" في باريس ، وانتصار الزعيم "عبد الكريم الخطابي" على الأسبان انتصارا ساحقا وهنا نجد مفدي أحد أعضاء الجمعية يزف

1 : حواس بري ،المرجع السابق، ص 32-33.

2 : المرجع نفسه، ص 33.

تهانيه بقصيدة مشهورة "إلى الريفيين" يحييهم فيها ، وبعد انتصارهم هو انتصار الإسلام على ما
 عده من أديان ، تبنى أصحابها هتك الحجب وانتهاك الحريات ومن تلك القصيدة قوله :¹

أجبري هلل بلأي الظفر ***** وكبر وخط جليل الخبر
 ورف بأجنحة النصر فوق ***** بني الريف حول القنا المتشجر
 ورتل على الجيش إن انتصروا ***** الله ينصركم ببلوغ الوطر
 وأمل اللواء لها الثري ***** وبو للأم.ام بنتك الزمر
 وأبلغ الرسول البرية أحمد ***** هادي الشعرية باديالبشر
 بأن الهلال على أفق العز ***** والمجد بعد الأقوال ظهر

ومما لا شك فيه أن كل شاعر تتلمذ على يد غيره من الشعراء الذين كان لهم قصب السبق في
 العطاء وأصحاب الريادة في الإنتاج ومفدي قد تشرب الإنتاج الإحيائي الوارد في المشرق
 العربي ممثلا عنه أعلامه من أمثال شوقي حافظ والرصافي وغيرهم ، كما نجد مفدي متأثرا
 ببعض الشعراء الذين عاصروهم وكان على صلة وثيقة بهم كأبي القاسم الشابي في تونس
 ورمضان حمود في الجزائر .

وشعراء الجزائر كانوا متأثرين بالمدرسة الإحيائية في المشرق العربي وخير دليل على ذلك ما
 حوته مجلة "الشهاب" الجزائرية من قصائد شوقي و حافظ والرصافي ، فقد كانت المجلة بذلك
 امتدادا لما كان يصدر في المشرق العربي في مجال الإبداع ، وما يكتب حوله من نقد، وبذلك
 أعطت مجلة "الشهاب" دفعة قوية في حركة الشعر الحديث في الجزائر ، لأنها تكاد أن تكون
 صاحبة الفضل في هذا الميدان وإن لم تخل جريدة " البصائر " هي الأخرى من قصائد المؤثرين

1 : حواس بري، المرجع السابق، ص 34.

من مدرسة الأحياء والمتأثرين بها ، ويمثل انبعاث المدرسة الاحيائية في الجريدتين العظيمتين شاعر جمعية العلماء " محمد العيد آل خليفة " ¹.

8. رحلاته:

لم يكتف مفدي زكريا بأداء رسالته كشاعر ونشاطه كسياسي في صفوف جبهة التحرير الوطني وغنما كان يسعى سعيا حديثا كي تنال قضية الجزائر اهتمام الأشقاء ، لذا رأيته يجوب الأقطار العربية للتتويه بالثورة الجزائرية وتحريكها في الضمير العربي.

ففي سنة 1961 توفي الملك " محمد الخامس " فلم يتأخر مفدي في مواسة إخوانه المغاربة في مصابهم الجلل بقصيدة بين فيها الأثر السلبي في المغرب العربي لأقول نجم البطل المغوار " محمد الخامس " حيث أصبحت الفرصة متاحة للعدو لما تخلص من رجل كان يقلق عمله ويعمل على طرده من وطنه.

" وفي نفس الوقت شارك الشاعر في حفل إمارة العرش الملك "الحسن الثاني" خلفا "لمحمد الخامس " ولم ينس مفدي أن يذكر الثورة الجزائرية ليثير المهم ويشد العزائم ، حتى يجعلها الشغل الشاغل بعد أن رثى وهنا ².

وفي نفس السنة انعقد مهرجان الشعر العربي بدمشق فأرسلت الثورة مفدي يمثلها لسمع هناك صوت الجزائر الثائرة ، وفي طريقه إلى دمشق مر بالقاهرة ومكث فيها فترة طويلة حكا عنها بقوله: "فقد لاقيت خطوة وتقديرا لم أكن أحلم بهما حتى في الأساطير ...وقد أتيت لي الفرصة في القاهرة أن أتعرف على كبار أدبائها أمثال العقاد وطه حسين ، ومحمود غنيم ، وصالح جودت الذي أصبح من أحسن أصدقائي واحمد رامي الساحر بلطفه وغيرهم كما أن كبريات

1 : حواس بري ،المرجع السابق، ص 34.

2 : المرجع نفسه، ص 41-42.

الصحف المصرية اهتمت بالتحدث عني بما يشرف المغرب العربي والجزائر خاصة ، ونشرت لي أحاديث مستفيضة ¹.

ولما أقيم المهرجان الشعري في دمشق ، تعكر صفو الجو على المؤتمرين لذلك التصدع الذي حدث بسبب انفصال سوريا عن مصر ، وعلى اثر ذلك تحول المؤتمر إلى لبنان وهناك اغتتم مفدي الفرصة وطبع ديوانه الأول " اللهب المقدس " وكما حضي مفدي بالتقدير والاحترام في مصر فاز به في لبنان وعن ذلك يقول : " أما لبنان فقد لقيت فيه من الحفاوة والإكرام ما يعجز عن وصفه قلبي ، فمن مآدب إلى أمسيات إلى دعوات صحفية للتعرف على الثورة الجزائرية وأخذ الأحاديث ... ²

هذا مما يدل على أن الثورة الجزائرية نالت اهتمام الأشقاء العرب يوم أن كانت الحرب تدور رحاها بين طرفين غير متكافئين في القوة مختلفين في العقيدة على أرض الجزائر وعند عودته من دمشق توجه مفدي إلى الكويت ومنها إلى قطر ثم عاد إلى القاهرة ، ثم انتقل إلى ليبيا ثم إلى تونس ، وقد دامت هذه الرحلات أربعة أشهر ، وكانت لها أهمية كبيرة في حياة الشاعر السياسية وهذه الرحلات كانت من أجل الوطن والثورة ، ولقد دل صدق الشاعر في أداء مهمته ذلك النجاح الذي تجلى في تلك الدعوات التي انهالت عليه تطلب إليه أن يحدثها على الجزائر وثورتها وفي هذه الرحلات اغتتم مفدي الفرصة والتقى الفنانين ليعرض عليهم قصائده الثورية لتلحينها وغنائها وعند التقائه بوردة الجزائرية أخبرته قائلة : " يسعدني أن أخبرك أن قصيدك "أنا ثائر" قد تم تلحينه أو كاد وقد لحن على شكل أبرات شعرية ، أما صلواتك لابنك "سليمان" الجندي الصغير فقد لحنتم وغنيتها في إذاعة القاهرة ، بعد سرد رسالة الابن الثائر كمقدمة للأغنية وكان لها صدى في مصر والبلاد العربية ... ، وأنا الآن أتدرب على المقطع الأول من

1 :حواسيري،المرجع السابق ص ص 42، 43.

2 : المرجع نفسه ص43،42.

قصيدة "الذبيح الصاعد" أما مجموعة أناشيدك الثورية فيتنافس في تلحينها كل من الأساتذة : محمود فوزي ، محمود الشريف، كمال الطويل وستغني لك فائزة كامل و فائزة أحمد أما برامجك التي سجلتها إذاعة صوت العرب وإذاعة القاهرة فقد أذيعت كلها، ولا شك أنك قد استمعت إليها، كما أذيعت روايتك "الثورة الكبرى" التي هزت الأفئدة وأبكت العيون"¹. وعن لقائه بأمر كلثوم يقول : أنها استقبلتها قائلة : " أهلا وسهلا بك شاعرا ومرحبا بك ثائرا في أرضي وبلدي الجزائر العربية ملهمة الأجيال ومعلمة البطولات وصانعة التاريخ ، وسأكون أسهمت إسهاما متواضعا في معركة الجزائر ،إذا ما غنيت معتزة فخورة بمقاطع نختارها معا من ديوان اللهب المقدس"².

وبعد هذا النشاط المكثف والعمل السياسي الناجح لا نعجب عندما نجد جريدة الصباح التونسية تعلق بمايلي : "مفدي زكريا سفير الجزائر بدون أوراق اعتماد ... وهكذا لا تخلوا أعمدة الصحافة سواء في دمشق أو القاهرة أو لبنان من شيء عن مفدي زكريا والجزائر أو شيء من مفدي عن الجزائر فأصبح بذلك سفيرا بدون أوراق اعتماد ، يخدم قضية الثورة ويطلع إخوانه في المشرق بما لا يعلمون عن الثورة الجزائرية وعروبة الجزائر"³.

هكذا عاش مفدي لوطنه الذي أحبه ، فخدمه بكل ما أوتي من قوة فكرية أو طاقة إبداعية ودهاء سياسي فقدم بذلك ما يعود على الثورة الجزائرية بما يفيدتها في الهيئات العربية ويزيد من أهميتها في المحافل الدولية.

1 : حواس بري ،المرجع السابق،ص 45.

2 : المرجع نفسه ص 45.

3 : المرجع نفسه ص 45.

9. نشاطه السياسي والفكري :

إن التربية التي تلقاها مفدي جعلته يتعلق بسير الأبطال العظماء والعظماء من الرجال ، وفي هذا يقول عن نفسه وعن صديقه "رمضان حمود" : "أتذكر أننا تحالفنا على أن نسرد تاريخ مصطفى كامل المصري في مدة خمسة عشر يوما ،فأتينا على قراءته باستغراق جميع أوقات النهر و زلفا من الليل "¹ ويقول في موضوع آخر نفسه : " شغفت بالآداب طفلا وبتاريخ الأبطال و عظماء الأوطان "² وهذا مما يدل على أن مفدي خليق لأن يكون رجلا سياسيا له مواقفه وآراءه التي تبلورت فيما بعد ، وعرفت في شعره واتضحت في نثره .

عرف مفدي النشاط السياسي وهو طالب في تونس فقد انضم إلى سلك الشبيبة سنة 1992 وعند عودته إلى وطنه سنة 1926 انضم الحزب " نجمة إفريقيا الشمالية " بعد أن عمدت السلطات الاستعمارية على حل هذا الحزب تأسس بعده بدلا عنه "حزب الشعب" في 1936/03/27 وهنا عمل مفدي كأمين عام للحزب وعند صدور العدد الأول من الجريدة توجه الشاعر بقصيدة يحي فيها الأحزاب التي سبقت حزبه ، ويدعو للآخر بالدوام³ :

فداء الجزائر روعي ومالي ***** ألا في سبيل الحرية

فليحي حزبي الاستقلال ***** ونجم شمال افريقيّة

وليحي الشعب الغالي ***** مثال الفداء والوطنية

ولتحي الجزائر مثل الهلال ***** ولتحي فيها العربية

1 : محمد ناصر رمضان حمود : حياته وآثاره ، الشركة الجزائرية للكتاب 1983 ص 20 .

2 : محمد الهادي السنوسي : المرجع السابق،ص 151.

3 : مفدي زكريا: اللهب المقدس ، موفم للنشر والتوزيع الجزائر 2000 ص 104.

أين تتجلى في هذه القصيدة الحب والوطنية والإيمان العميق والحب الخالص حل الحزب وانتخبت " جبهة التحرير الوطني "فارتى في أحضانها بكل ثقة وانشد النشيد الرسمي الوطني "قسما "في سنة 1955 ومنه قوله ¹:

قسما بالنازلات الماحقات * * * * *
والدماء الزاكيان للظاهرات
والبنود اللامعات الخافقات * * * * *
في الجبال الشامخات الشاهقات
نحن ثرنا فحياة أو ممات * * * * *
وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا... فاشهدوا... فاشهدوا...

" ثم اعتقل يوم 1956/04/12 بتهم تعددت أسماؤها وألوانها وما دام مفدي شاعر الثورة يغني لها ويتغنى بها ، فأصبح من المؤكد أن يرهقه الاستعمار الفرنسي عذابا في السجون التي تخرج منها فيما بعد ومن تلك السجون سجن بربروس البرواقية، الحراش كان يدخل ثم يخرج ليدخل ذلك" ².

كما أن مفدي زكريا قد كان في تلك الفترات التي كان يقضيها خارج السجن يشتغل إلا أنه لم يذق طعم النجاح فيها ، وهذا الإخفاق يضل مشكلة تستدعي النظر وقضية يجب الوقوف عندها حتى ننصف الرجل ونعطيه حقه في ميدان العمل السياسي "لا سيما إذا عرفنا أن المجتمع المزايي مجتمع تجارة بالدرجة الأولى وهنا نطرح السؤال : هل كان مفدي مفلسا في تجارته المزعومة ؟ وهل كان يريد أن يشتغل تاجرا إبان الثورة ؟" ³

"لا تظن ذلك فلو كان مفدي متعلق بالتجارة لوجه يده لمساعدة العدو قبل الصديق لا حبا فيه وإنما كمدخل أو وسيلة لإبعاده عن الحياة السياسية ولكننا نرجح أن مفدي لم يشتغل بالتجارة حبا فيها ولكن كانت بالنسبة إليه -آن ذاك- وسيلة لا غاية يريد من خلالها أن يبعد الأنظار

1 : مفدي زكريا : المصدر السابق، ص 71.

2 : حواس بري، المرجع السابق، ص 39.

3 : المرجع نفسه، ص 39.

عنه ليعمل في الساحة مطمئن البال هادئ النفس " ¹للجزائر كما كانت المحفزة على الثورة والجهاد لتحي الجزائر حرة مستقلة لها كرامتها وسيادتها وإن كانت المحاولة بدائية ، تستلهم الوطنية لكنها لم تحافظ على الفن الشعري والنشيد تتديد بسياسة الاندماج والفرنسية اللذان كانت تعمل لهما فرنسا عن طريق الجبهة الشعبية الفرنسية في نطاق مشروع -بلوم فيوليت- تلك الجبهة التي تحمس في الدعوى إليها ما يسمى "بجامعة النواب" وقد بذلت هذه الأخيرة قصارى جهدها للتغيير بالعلماء عن طريق التخليط والتضليل واستغلال حسن النيات ،فرد الشاعر على تلك المزاعم قائلاً:²

فلسنا نرضى الإمتزاجا *****ولسنا نرضى التجنيسا
ولسنا نرضى الإندماجا ***** ولا نرتد فرنيسيا
رضينا بالإسلام تاجا ***** كفى الجهال تدنيسا
فكل من يبغى اعوجاجا ***** رجمناه كابليس

وهنا نجد الإمام : عبد الحميد ابن باديس يرد على سياسة فرنسا فيما يخص الإدماج بقوله:" إن الشعب الجزائري ليس فرنسيا ولا يرد أن يكون فرنسيا ، حتى لو أراد فلن يستطيع ، لأنه بعيد كل البعد عن فرنسا ، بلغته وعاداته وأصوله ودينه ،وإن التجنيس الذي هو في الحقيقة اختيار جنسية غير إسلامية للمسلمين ،ينطوي على التنكر للشرائع المقدسة التي تنظم شؤون حياة المسلمين وتضع لهم قوانين دنيوية وبشرية "³.

1 : حواس بري،المرجع السابق، ص 40.

2 : مفدي زكريا ، المصدر السابق،ص 104.

3 : بسام العسيلي، بناء قاعدة الثورة الجزائرية ، دار النفاس ن بيروت 1982 ص 130.

وهكذا سد " عبد الحميد بن باديس " الطريق أمام هذا المشروع الذي تحلم به فرنسا ، سدا منيعا لأنه أحاط بفتواه جميع الجوانب العقائدية والوطنية وبين الهوة الساحقة بين العقيدتين الإسلامية والمسيحية¹.

ونرجع إلى حياة مفدي زكريا السياسية فنجده في 29 أوت 1937 يزج في السجن بتهمة التآمر ضد أمن الدولة الفرنسية ، ومن ذلك تفجرت قريحته بنشيد الشهداء وفي عام 1956 صدر الأمر من جبهة التحرير إلى المحكوم عليهم بالإعدام أن يرددوه قبل الصعود إلى المقصلة ونختار منه الأبيات التالية:²

اعصفي يا رياح **** واقصفي يا رعود

وتخزي لي جراح **** واحذقي يا قبور

نحن قوم أباة **** ليس فينا جبان

قد سئمنا الحياة **** في الشقا والهوان

وإذا كانت السجون هي المدارس التي يتخرج منها الرجال الذين يقبلون صفات التاريخ وفي ظلمته يظهر بصيص الحضارة والتمدن ومن غرفة تزعزعت الثورات وفي هدوئه تؤسس الدول وتهدم "وإذا استقصينا التاريخ وجدنا أن الدول المحركة لدولاب العالم والرجال الذين نهضوا بها وشغلوا الأفكار زما طويلا كان لهم نصيب وافر من هذه المدرسة"³.

ومن ثم لا نعجب عندما نجد مفدي وبعض زملائه في السجن يصدرون جريدة "البرلمان الجزائري" الأسبوعية مديرها المناضل "أحمد بودة ومفدي رئيس تحريرها بسجن الحراش"⁴.

1 : حواس بري ،المرجع السابق ص 37.

2 : مفدي زكريا،المصدر السابق ص 84.

3 : محمد اقناش ، حزب الشعب الجزائري 1927-1939 ديوان المطبوعات الجامعية ص 37 .

4 : حواس بري ،المرجع السابق ص 38.

ولما اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية أصدرت الإدارة الفرنسية قرارها بحل "حزب الشعب" واعتقل بعض أعضائه ، ومنهم مفدي زكريا في 1939/10/24 بدون أي سبب مباشر¹ . أما عن نشاطه الفكري فنقول أن مفدي زكريا هو كغيره من رجال الفكر والأدب حيث يظهرون على مسرح الحياة الفكرية أو العلمية أو الأدبية بما يساهمون به من أعمال ، وما يؤذونه من ممارسات في هذا الحقل أو ذلك ولو بباكورة إنتاجهم أو ببداية نشاطهم ومفدي كهؤلاء وغيرهم سطع نجمه في تونس لما كان يساهم في إخراج مجلة تتماشى ومستوى أقرانه من أبناء البعثة الميزانية ، بما كان ينظمه في أشعار أو بما يكتبه من مقالات وأراء حرة ولما اشتد ساعده وأصبحت له تجربة بحكم الممارسة ، تقلد مفدي رئاسة تحرير مجلة الحياة سنة 1933 التي أنشأها مع صديقه أبي سعيد عدوان ، وكانت لا تمثل أي اتجاه حزبي معين² ، وقد ورد في منشور وزعه صاحب الجريدة على الأدباء والمفكرين قبل صدور العدد الأول ما يلي : "إن جريدتنا علمية أدبية اقتصادية أخلاقية جامعة ، أسست لتعمل على هدم كل ما شيدته أيدي الجهل والتفريط والكسل ، وعلى إزالة كل ما يحول بين مسلمي هذه البلاد وبين رقيها العلمي والأدبي والاقتصادي وهي ليست حبسا على أفراد معينين أو مقيدة بحزب من الأحزاب ، وإنما هي ملك مشع بين جميع المتتورين الذين يحملون فكرتنا ويسعون مثلنا فيما يحي ما اندثر من مجد غابر مع إضافة ما يلزم أن يضاف إليه من محاسن العصر ، شعارها الإخلاص في العمل لله والسعي لصالح الوطن ، رائدها الصدق ودعامتها التفكير الحر والعلم الصحيح حزبا الحق ، ومبدأها الصراحة"³ ولقد كان مفدي شغوقا بالعمل الصحفي مند نعومة أظافره ، ولذا نجد إذاعة تونس قد استولت عليه حيث كان يقدم برنامجا تحت عنوان "حيث الصباح" وهو

1 : بسام العسيلي، المرجع السابق، ص130.

2 : حواس بري، المرجع السابق، ص 40.

3 : المرجع نفسه ص 40.

عبارة عن التعريف بالأعلام ورجال الفكر والأدب في الغرب العربي ، ولقد حاول الشاعر أن يجمع هذه المقالات تحت عنوان الصحافة العربية في المغرب العربي¹ .
ومن بين الجرائد التي اشتغل بها مفدي جريدة الإذاعة بتونس جريدة البرلمان ،جريدة الشعب الجزائريتان² وهذا دليل على أن مفدي كان يؤمن بأن الجرائد والمجلات هي مدارس متقلبة تلعب دورا خطيرا في تحرير الهمم وشحن العزائم ، ولا تقل أهمية عن غيرها من وسائل الإعلام والتنقيف ولا سيما في النشاط السياسي ، إذ يعتبر من الوسائل المهمة في تكوين الوعي السياسي لذا الجماهير ، ولذا نجده ينادي من كانوا حوله من الكتاب والشعراء ليساهموا في جريدة الشعب عندما رأت النور بقوله :³

تعالوا نقتحم حاوي الأمانى ***** تعالوا نقتسم هدى الجراحا
تعالوا نرهف الأقلام يوما ***** ونذكر عندها الصراحا
ونكتب بالدم الغالي حروفا ***** تعلم للبين بها الكفاحا
وننقد بالبراعة حق شعب ***** غدا نهبا وأصبح مستباحا
يقضي اليوم عمرهم جهاد ***** ونقضى العمر كالثكلى نواحا
فلا نال الكرامة من توانى ***** ولا رزق الحياة من استراحا

حاول مفدي أن يجعل من الأقلام الجادة مجاهدة تعمل على تنوير العقول التي حجب الاستعمار عنها نور العلم والمعرفة وبين أن جهاد القلم لا يقل في قيمته عن دور البندقية والرصاص ، ولذا انحنى بالملائكة على من اكتفى بالقول دون أن يعمل مجاهدا على تحرير وطنه .

1 : حواس بري ،المرجع السابق، ص 40 .

2 : المرجع نفسه ص 40.

3 : المرجع نفسه ص 41.

ولطالما أحب مفدي زكريا الوطن الأم الوطن الذي لم شمله مع إخوانه الجزائريين الأحرار والمنبع لشعره يلمس في إنتاجه المبكر حبا جارفا لجزائرنا العزيزة ، وحنينا إلى وجهها الذي مزح دمه ودخل شقاق قلبه ، في هذه العاطفة المتدفقة في كل قائده وهي تصور لنا حب شاعر حساس يعشق مواطن الجمال في وطنه ، فيتغنى به جزئا جزئا ، وموطنا موطنا ، ولم نر بين الشعراء من يد أنية في هذه الخصيصة .

تنزه مفدي في ريعان شبابه عن التغزل بالجنس الآخر على غير عادة الشعراء الشباب فهو قد جسد الجزائر في شكل أنثى لا تضاهيها أخرى وتغنى بجمالها الباهر ليصب هذا الحب في قالب من المشاعر والعواطف الجياشة يرتبها حروفا ثم كلمات فجملا إلى قصائد نذفت من قلبه وكتبت بدمه .

إنه مفدي زكريا الذب لطالما أحبه كل جزائري وجزائرية و لئما أنك تشعر بأن مفدي زكريا يمتثل أمر رمضان محمود، بما رأى من سداد في رأيه حين قال : "من أراد منكم التغزل بوطنه الجميل¹، الوطن الذي فتن نظرات فرنسا وكتم أنفاسها لتقع في غرامه من سوء الحظ واستعاض مفدي عن اسم الوطن ومرادفته -الأرض- الجزائر بأسماء تتبع من قلب تراث العرب المجيد سلمى، ليلي سلوى، عبر بها عن حب لا تحده حدود ولا يتقاطع مع خطوط الطول ولا دوائر العرض ، فهو ينادي وطنه بكنية يتقصدها ويهدف من ورائها إلى أشياء قد يغيب عنا تفسيرها "سلمى"².

رسول الهدى بلغ سلامي إلى سلمى *** وعاط حميما ثغرها الباسم الألمي

وتاج هواها علي في الغيب رحمة *** تدارك هذا القلب أن ينقضي هما

1 : حواس بري ،المرجع السابق، ص 20.

2 : محمد الهادي السنوسي،المرجع السابق، ص 151.

وبث شكاة من مشوق متيج *** له كبد حرى تضيق به عم.
ثم يستبدل هذا الاسم باسم لا يقل عن سابقه أهمية ، اسم سجل في صفحات التاريخ يبقى خالدًا
-ليلي- نابع من قلب العروبة كان مفدي قد سبق في هذا الاستخدام الموحى، الشعراء الجزائريين
كما دلت هذه القصيدة التي نشرت عام 1927 وكان عمره آن ذاك ثماني عشرة سنة¹

الحب أرقني واليأس أضناني*** واللين ضاعف ألامي وأحزاني
والروح في حب ليلي استحال إلى*** دمع فأمطره شعري ووجداني
أسامر النجوم بألوان هامة *** تصغي أنيني بأشواق وتحنان
كأنها وعراب الليل منحدر *** روحي وقلبي بجناحه جناحان

صحيح أن من مثلك يا مفدي قليل قليل ،أي حب هذا وأي إخلاص هذا الذي نجده عند شاعر
ثورتنا المجيدة ، الشاعر الثائر حين يكرس كل شيء فداء لوطنه فمن دون حرية الجزائر يأبى
أن يعيش ، ويفقد طعم الحياة إن لم تتخذ الجزائر سيفًا بتارا وجسده وقودا يزيد النار لهيبا في
ساحة الشرف .

إنه مفدي زكريا شاعر الثورة قائل العبارة ابن جزائرننا الحرة ومن أروع ما قاله في الحبيبة هذه
الأبيات الرائعة كلها حب :²

جزائر يا مطلع المعجزات *** ويا حجة الله في الكائنات
ويا بسمة الرب في أرضه *** ويا وجهة الضاحك القسمات
ويا لوحة في سجل الخلود *** تموج بها الصور الحالمات

1 : محمد الهادي السنوسي،المرجع السابق، ص 21.

2 : مفدي زكريا، إلياذة الجزائر المعهد التربوي الوطني الجزائر ص 03.

وياقصة البث فيها الوجود *** معاني السمو بروح الحياة

ويا صفحة خلا فيها البقا *** بنار ونور جهاد الأباة

ألا والله هو من خير ما قيل في الجزائر العزيزة على قلوب أبنائها إضافة إلى الأبيات هناك أبيات هي بدورها رائعة من روائع مفدي زكريا:¹

جزائر يا لحكاية حبي *** ويا من حلمت السلام لقلبي

ويا من سكبت الجمال بروحي *** ويا من أشعت الضياء بدربي

فلولا جمالك ما صح ديني *** وما إن عرفت الطريق لربي

ولولا العقيدة تغمر قلبي *** لما كنت أومن إلا بشعبي

وإذا ذكرتك شع كياني *** وما سمعت نداك أربي

ومهما بعدت ومهما قربت *** غرامك فوق ظنوني ولبي

وفي كل درب لنا لحمة *** مقدسة من وشاح وصراب

وفي كل حي لنا صورة *** مرنحة من غوايات صرب

وفي كل شبر لنا قصة *** مجنحة من سلام وحرب

تنبأت فيها باليادتي *** فأمن بي وبها المنتبي

شغلنا الورى وملأنا الدنا

بشعر نرتله كالصلاة

تساويحه من حنايا الجزائر

الحقيقة أنه بسماع هذه الأبيات تقشعرا لأبدان، فهذا هو الحب الحقيقي الصافي النابع من القلب:

بلادي بلدي الأمان الأمان *** أغنى ملاك بأي لسان؟¹

1 : مفدي زكريا، المرجع السابق، ص 05.

جلالك تقصر عنه للغي *** ويعجزني فيك شعر البيان
وهام بك الناس حتى الطغاة *** وما احترموا فيك الزمان

10. وفاته:

على إثر سكتة قلبية انتقل مفدي زكرياء إلى جوار ربه يوم 1977/08/17 بعد أن أدى فريضة الحج هو وزوجته ،وقد طلبت كل من الحكومتين التونسية والمغربية أن تتولى دفن جثته في أرضها إلا أن الحكومة الجزائرية أبت ذلك ، دفنت جثته في مسقط رأسه (بني يزقن) بغرداية جنوب الجزائر .

ترك مفدي ابنا اسمه صلاح سليمان وعائشة استقلال وصالحة فداءتوفي مفدي وهو حامل لوسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الأولى من ملك المغرب ووسام الاستقلال من الدرجة الثانية من رئيس الجمهورية ووسام الاستحقاق الثقافي من الحبيب بورقيبة أيضا ² وهكذا رحل مفدي إلا أن ذكره باقية في قلوب كل من أحبوا هذا الوطن ، رحل بعد أن أغنى بلاده أروع الأشعار³:

بلادي التي من نوب قلبي نظمتهما ***نشيدا فغنى الكون ثورتها شعرا
غمست بمظلول الجراحات ريشتي *** فجاءت رسومي تلهم العقل والفكر
وواكبت في الأعماق ثورة أمتي *** ولازلت حتى أرسم البعث والنشرا

11. مؤلفاته:

اعتقد كثير من الدارسين للأدب الجزائري أن مفدي زكرياء لم يكن من الشعراء الذين كثر إنتاجهم الفكري وتعددت دواوينهم الشعرية ، ولكن فاتهم أن لمفدي إنتاجا أكبر مما يتصورون

1 : مفدي زكريا، المرجع السابق،ص 102.

2 : حواس بري :المرجع السابق،ص 53.

3 : أحمد توفيق المدني حياة كفاح المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1988 ج1 ص 137.

تتأثر في الجرائد والمجلات الجزائرية والتونسية نثرا وشعرا تقرأ له محاضرات أدبية بدور الثقافة بمغربنا الكبير أو برامج في مختلف المواضيع بإذاعات كل من المغرب وتونس والجزائر .

من مؤلفاته المطبوعة :

- اللهبالمقدس: طبع طبعتان الأولى في بيروت سنة 1961 والثانية في الجزائر في سنة 1983 خصه الشاعر للثورة الجزائرية.

- تحت ظلال الزيتون: نظمه الشاعر للثورة في المغرب الأقصى، طبع مرة واحدة سنة 1965

- من وحي الأطلس: خصه الشاعر للثورة في المغرب الأقصى طبع مرة واحدة سنة 1976.

- إلياذة الجزائر: نظمت في ملتقى الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر سنة 1972 بلغ عدد أبياتها ألف بيت وبيت.

- دليل المغرب العربي الكبير : وكان يهدف من وراء ذلك إلى تسهيل الاتصال بين دول المغرب العربي .

مشاريع كان يأمل الشاعر إنتاجها :

- تاريخ الأدب العربي في الجزائر من الفتح الإسلامي حتى السبعينات

- تاريخ الصحافة العربية في الجزائر وقد عرف هذا المشروع طريقه إلى النور بمجهود الدكتور محمد ناصر .

- وأعلن سنة 1972 عن ميلاد مشروع مسلسل تلفزيوني باسم "الخالدون" بالتعاون مع الأستاذ "الحبيب شيبوب" وأديب عربي بالمغرب والأستاذ "عبد الكريم محمد" يعنى هذا المسلسل بتسليط الأضواء على عبقریات مغربه عبر التاريخ .

- إلياذة تونس ثم إلياذة المغرب وتطبع الإلياذات الثلاث :الجزائر وتونس والمغرب في ديوان واحد بعنوان : "إلياذة المغرب العربي الكبير" .

الفصل الثّاني:

سرديّة الشعر عند مفدي زكريا

تعريف السرد:

تمهيد :

إن اللغة قناة الاتصال بين القارئ والقاصي، وأفضل الأساليب للتعبير عن هذه اللغة هو الأسلوب الطبيعي السهل المفعم بالحيوية ونعني بالأسلوب الطبيعي "القاص، الإنسان، الكاتب....". فالكاتب الذي يتمتع بالدعابة والروح المرحة تكون خصاله الهامة مندسة ومبعثرة في أنحاء قصته بينما تنقل قلوبنا وصدورنا من انعكاسات صاحب القلم المعتم الأحاسيس .

وقد يلجأ الكاتب إلى اختيار بعض الزخاف ولكن دون ما كد أو تعب وبغفوية وإلا أصبح القص مصطنعا بعيدا عن الطبع وبإمكان الأديب أن يجمع في القصة الواحدة أكثر من أسلوب من هذه الأساليب (طريقة السرد المباشر) و(الترجمة الذاتية) و (الرسائل أو الوثائق) وما يهمننا في هذا المقام من هذه الأساليب هو طريقة السرد المباشر .

تعريف السرد :

عرف رولان بارن السرد بقوله : "إنه مثل الحياة نفسها عالم متطور من التاريخ والثقافة " .

ويعلق الباحث على هذا التعريف بقوله : " إن هذا التعريف نجده عاما فالحياة نفسها عصية على الإنسان " الكائن المتمرد على كل تعريف أو قانون" ونحن بحاجة ماسة إلى فهم السرد بوصفه أداة من أدوات التعبير الإنساني ، وليس بصفة حقيقية موضوعية تقف في مواجهة الحقيقة الإنسانية .

تنبه الناقد هايدن وايت إلى هذه الأداة وذلك عندما رأى أن القضية الجوهرية في السرد تكمن في فكرة (كيف تترجم المعرفة إلى أخبار) و كيف نحول المعلومات إلى حكي ، كيف نحول التجربة الإنسانية إلى بنى من المعاني التي تتخذ شكل الخصائص الثقافية المرتبطة بالزمان والمكان والناس والأحداث .

ويعمل السرد على صياغة ما نريده بصورة تتجاوز حدود اللغة التي نتكلم بها وإن كان السرد القصصي يتخذ من اللغة وسيلة له فهو يحكي عن طريق اللغة السلوك الإنساني والحركات والأفعال والأماكن وهي أدوات عالمية الدلالة بخلاف اللغة ذات الصبغة المحلية .

ومن ثم فإن تحويل التجربة إلى حكي معناه إخراج لها حيز اللغة الإنسانية الشاملة بخلاف ما لو صيغت على هيئة تأملات أو تقارير - وقد أصبح السرد نفسه - عندما يتجلى في عمل ما مثل (القصة ، المسرحية، الرواية) عوضاً أو بديلاً عن المعاني أو عن التجربة ، وبخلاف التعبير اللغوي المباشر الذي يشير على التجربة ويترجم لها أو يعرف بها لكنه لا يكون بديلاً عنها ، إلا إذا كان فنا يقدم بدائل موسيقية أو تصويرية أو سردية وليس هناك حاجة في داخل السرد إلى شرح فكرة أو تلخيص مغزى أو توجيه نصيحة أو موعظة، لأن التركيب السردى نفسه يقول والصياغة نفسها هي التي تكشف عن المعنى أو عن التجربة، وأي تدخل مباشر من هذا القبيل داخل النسيج السردى يعيد شيئاً زائداً عن السرد ومفسداً لبنائه .

ويشير السرد عموماً إلى كل ما يمكن أن يؤدي قصاً ، سواء كانت الأداة المستخدمة لتمثيله لفظية أم غير لفظية ، إنه نوع من السلوك الإنساني توصل بواسطته ، الكائنات البشرية ضروباً معينة من الرسائل، وقد تتنوع صيغ السرد على نحو غير عادي إذ يمكن أن يروي شفاهاً أو مكتوباً أو دون أداة لفظية، وذلك عبر الإيماء والصور وغيرها ويشير السرد أيضاً إلى مجمل التقنيات والأدوات التي تشكل مجتمعه بنية النص السردى .

وكثيرة هي أشكال السرد ، إذ كل عمل سردي له الشكل الخاص به وإذا كان هذا التنوع في استعمال أشكال السرد يفضي إلى صعوبة بالغة فيما يتعلق بالدراسات النظرية وقد حاول المنظرون حصر جميع الأشكال في نطاق ضيق يمكن من دراستها مجتمعة ، ومن أشكال السرد "السرد المفصل للأحداث " وهو أن يتم سرد الأحداث بالتفصيل دون اقتضاب وعلى العكس من الحذف أو المجمل يكون المشهد تركيزاً على بعض الأحداث التي من البديهي ستكون هادفة .

إن السرد القائم في الأسطورة والحكاية كما هو قائم في الكوميديا والتراجيديا وقائم أيضا في الرواية والقصة ،والقصة القصيرة ، والسرد هو نقل الحدث أو مجموعة من الأحداث صورتها الواقعية أو المتخيلة إلى صورة لغوية ويختار كاتب القصة عادة واحدة من ثلاث طرق للسرد وهي :

الطريقة المباشرة ، طريقة السرد الذاتي و الوثائق (المذكرات والاعترافات).

وقد عقد مؤتمر في جامعة اليرموك بعنوان " فن السرد في الأدب العربي " حيث قال الدكتور محمد الزعبي:"إن فن السرد في مختلف الأجناس الأدبية يكتسب أهمية خاصة فقد فتحت نظرية السرد آفاقا جديدة من الكشف وتقنيات الكشف عن السردية أشكالها ووظائفها ودلالاتها".

أما الدكتور عادل فريحات من جامعة دمشق فقد قال : " إن فن السرد ينضج تدريجيا مع الزمن في عالما العربي ويتميز بأنه مرن ومطوع من خلال تكاثر التجارب الإبداعية فيه وتعدد أشكاله " ¹.

شعرية السرد وسردية الشعر :

إن دراسة هذه الدراسة أو مثل هذه النصوص الحاملة لهذه الدراسة تستوجب بالضرورة تذبذب الدارس بين اتجاهين أحدهما يتجه به صوب " سرديّة الشعر " والآخر صوب "شعرية السرد" وبين الاثنين فارق كبير ففي الأول نحن أمام ذات شاعرة تقضي بيوحها وحالاتها ورؤاها وهي ذات حقيقة ترتبط مباشرة بتجربة شعرية لها أبعادها الذاتية والوجدانية .

وفي الثاني نحن أمام ذات ساردتوهمية ، وهي أداة يتوارى خلفها المؤلف وربما ظهر المؤلف لصاحب نوات ساردة متباينة ومتعددة يخترعها يتوارى خلفها .

في الأولى نحن أمام شعر يوظف أبعادا سرديّة لغرض درامي ، وفي الثانية نحن أمام سرد له جمالياته التي من مجازات الشعر وأساليبه دون أن تتخلى عن أدواتها في الطريق .

1: منتدى التربية والتعليم تلمسان.

إن الاشتباك القوي بين المؤلفة والساردة (الرواية) في النصوص واستخدام ضمير الأنا جعل من النصوص ساعة للسجال الشعري أحيانا ولعل هذا المدخل صالح تماما لدراسة اللغة في مجموعة عبير فوزي.... لقد أتت لغة عبير فوزي تتسم بالشفافية العالية وحساسيتها الجمالية بالعالم الداخلي الملتبس للأنتى في حركة موازية للعالم الخارجي والطبيعة مقدمة من خلال حسها العميق يجرح الحياة لشخوص قصصها اللاتي يعفو تاريخهن وينكسر في كل ما يقدمن عليه في عالم مزيج بالصرامة والخوف الذي يرهن الشخصيات ويتحكم فيها ، فتضمحل وجوديا مقابل نماء داخلها الذي يتجرد شخصية أخرى ترسم معالم حياة لا تقوى على اكتشاف كنهها إلا باللغة السابحة في حساسية شعرية فريدة تهيب للساد حيواته في فتوحات اللغة الشعرية ، وتحرك اللغة السردية باتجاه أداء تشكيل جمالي ينضج شعرته بنبره بشعاع شعري ينبثق من الأسلوب الذي يحرص على تكثيف المجاز وتحليقه وخلق جملة من الانزياحات اللغوية المؤهلة للتخليق في عوالم ذات المؤلفة إذ تخلق بذوات شخوصها وقد اشتبكا معا .

هكذا تتقوى الشعرية في لغة القص عند عبير فوزي بإقامة الحدائق الإبداعية للانزياحات التي تحقق انحرافا عن النثر و المهيجة للتخيل الذي تحركه عبير فوزي ببنية مثيرة وهي تتحرك بخصوصيتها الإبداعية والفنية والفكرية ، وهي تنشط لتعيد تركيب العالم حول الأنتى أو تضعه أو تموضعه على نحو شعري ، وهي أيضا توغل في دواخل شخوصها متمسكة المكان الحيوي للروح والجسد تبنى بينهما وبين العالم موجات من الاعتراضات أو التوافقات أو التساؤلات والخطابات ليصبح السرد مجالا أو مكانا للتخيل الشعري بجانب أنه مكان مناسب للروح والإفشاء والتذكرات والوصف وتلك سمات شعرية في الأساس إذ يلج منها الشعراء إلى عوالمهم الشعرية .

إلى هذا الحد كان السرد استثناء في نصوص عبير فوزي أم أنه الولوج إلى عالم السرد كان من باب الشعر ؟ أم أنها النصوص التي تقع في المنطقة الوسط بين المتخيل السردى والمتخيل الشعري أو لنقل المنطقة الوسطى بين شعرية البتر والنثر الشعري¹ .

أتاحت لنا نظريات السرد الحديثة فرصة مواجهة نصوص خارجة عن جنس النثر لاعتبار السرد جنسا يتجلى في كل أشكال الخطاب المكتوب منه والشفوي قديمة وحديثة مادام هذا الخطاب ينهض على أحداث تقوم الشخصوس (الفواعل) بمهمة تفعيلها² .

حسب تعبير بارت : "السرد في العالم لا تحصى وهي توجد في عدد لا يمكن حصره من الأنواع المعبر عنها بوسائل شفاهية، كتابية، صور ثابتة أو متحركة، إيماءات، رسوم، أخبار ، محادثة... الخ وأن السرد لا يكثر بجودة الأدب أو رداءته، إن السرد عالمي متعالى على التاريخ وهو ببساطة موجود حيث توجد الحياة"³ .

البرنامج السردى: هو تتابع الحالات وتحولاتها المتتالية على أساس العلاقة بين الفاعل والموضوع ويحدد البرنامج السردى دائما بالحالة في علاقتها بموضوع القيمة التي ينتهي إليها⁴ .
يشمل البرنامج السردى أربعة مراحل : مرحلة الاختبار ، الكفاءة ، الأداء ، التقويم .

أ. مرحلة الاختبار : يسعى المرسل لإقناع الفاعل بالفعل قصد امتلاك الموضوع القيمي وبعد تحقق فعل الإقناع يتحول الفاعل إلى عامل¹ .

1 : - عبد الجواد خفاجي، 20 أبريل 2008.

- عبير فوزي قاصة مصرية من مواليد محافظة الوادى الجديد وقد صدرت مجموعتها موضوع الدراسة عن فرع ثقافة الوادى الجديد (سلسلة ابداعات الواحة) عام 2007.

2 : بوتوتة عبد المالك : تجليات السرد في القصيدة الجاهلية ، مذكرة ماجستير في الآداب ، تخصص السرد العربى القديم ، جامعة منتوري قسنطينة ، السنة الجامعية 2006-2007 ص 3 .

3 : عبد الله ابراهيم : السردية العربية المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط2 لبنان 2000 ص 252 .

4 : رشيد بن مالك : قاموس مصطلحات التحصيل السيميائي ، دار الحكمة ، الجزائر فيفري 2000 ص 148 .

ب. مرحلة الكفاءة : يتحول الفاعل إلى اكتساب صيغة كون الفعل².

ج.مرحلة الأداء: وتمثل جهة الفعل وفيها يتحقق الفعل ويظهر في المقابل برنامج سردي يحاول إخفاق البرنامج السردي المراد تحقيقه فيخلق بذلك برنامج سردي مضاد يقوم على ثنائية التضاد³.

د. مرحلة التقويم : أو مرحلة الاعتراف وتوافق الصفة كون الكون⁴.

البنية العميقة : هي البنية التي تتحكم في معاني النص من خلال شبكة العلاقات التي تربط قيم النص وتمثل الأقطاب الدلالية،ونظام العمليات التي تقوم بتنظيم الانتقال من معنى إلى معنى⁵.
ملاحظة :

كل هذه التعاريف والمناهج المعروضة لا يعني توظيفها في النص السردي كما هي وإنما تطرقنا إليها وتعمدنا دمجها للتعريف بنظرية السرد الحديثة ومن ثمة نحاول تطبيق ما يمكن تطبيقه على النصوص اللاحقة وإبراز أهم النتائج التي تسعى إلى الوصول إليها.
السرد وأهم مناهجه :

وردت لفظة السرد في القرآن الكريم في قوله تعالى : "أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير"⁶ فسرّها ابن عياش بالمتتابع المنسجم الدقيق الحلقات فسرّها الزمخشري بـ " نسج الدروع"⁷.

1 : بوتيتوتة عبد المالك : المرجع السابق، ص 19.

2 : المرجع نفسه.

3 : المرجع نفسه ص 20 .

4 المرجع نفسه .

5المرجع نفسه ص 21.

6 : سورة سبأ، الآية 11 .

7 : الزمخشري ، تفسير الكشاف ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ط1 1995، ص 554 .

وصفت عائشة أم المؤمنين كلام النبي "ص" بقولها: "كان رسول الله "ص" لا يسرد كسرركم هذا وإنما كلام بين يحفظه كل من جلس إليه " .

أي لا يعطل الحديث ، لا يثرثر ، لا يسترسل ولا يطيل في الكلام وإنما كلام بقدر المقام .

وردت اللفظة في تاج العروس¹ : السرد : نسج الدروع ، وهو تداخل الحلق بعضها في بعض .
السرد : السمر: وهو غير خارج من اللغة (الكلام) .

السرد : (جودة سياق الحديث) سرد الحديث ونحوه يسرد سردا إذا تابعه وفلان يسرد الحديث سردا وسرده إذا كان جيد السياق جاء في لسان العرب² مادة -س ر د- تقدمة الشيء إلى الشيء تأتي به منساقا بعضه إثر بعض متتابعا .

من خلال هذه التعاريف نستنتج أن السرد لا يخرج عن نطاق نسج الكلام وحسن السبك وقدرة النظم في انسجام تام .

أما السرد كعلم يعني بمضامين الحكيم (القص) وبنائه فهو غربي المنشأ والتطور .

وسمة العلمية التي وسمه إياها هو الباحث (تودوروف tzvetar Todorov) سنة 1969.

" يعلم القص " la science du récit لم تأت إلا بعد اشتغال طويل وبحث دعوب خص به الخطاب السردى مند عشرينات القرن الماضي بداية من نظرية الشكلانيين الروس التي نهضت على مقاربات نقدية جديدة تسعى إلى رفض كل المقاربات النقدية التي تفسر الأثر (العمل) الأدبي انطلاقا من حياة (سيرة) المبدع ، أو من علاقته بالنص أو إطاره (مرجعيته) ورصد - في المقابل - مقاربة بنويوية (شكلية) تسعى إلى تحليل المضامين الأدبية ،متخذة من أدبية "ياكسون" مصدرا

1 : محمد المرتضى الحسني ، تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق د/عبد العزيز مطر ، مطبعة حكومة الكويت ج 08 ، الكويت 1970، ص ص 186، 187.

2 : ابن منظور، لسان العرب ، دار الحديث القاهرة، 2003 م 4 ص 552،553 .

أساسيا لكل مقاربة تتهجها أي "أن موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب ، وإنما الأدبية أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا ¹.

حيث انصب عمل الشكلانيين الروس على أنساق تركيب المتن الحكائي وبين الأنساق الأسلوبية في الاستعمال أجازي للغة ².

ميز "توماشوفسكي" بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي بقوله إننا نسمي متنا حكائيا مجموع الأحداث المتعلقة فيما بينها ، والتي يقع إخبارنا بها من خلال العمل ...وفي مقابل المتن الحكائي كما يراعي ما يتبعها من معلومات تعينها لنا ³.

فالحكاية (القصة) حسب هذا التعريف هي نظام التسلسل التصاعدي لأحداث مستقلة عن كيفية عرضها في الحكاية أي كيفية صياغة الحكاية من حيث الإثارة أو عدم الإثارة أو التلخيص أو الإضافة حسب تصرف المبدع (الراوي).

ويرى "توماشوفسكي" أن مبدأ العمل الحكائي (السردية) يعتمد على الغرض العام وغرض الوحدة الصغرى غير القابل للتجزئة هو الحافز le motif وهو أصغر وحدة سردية . وإدراج بعض الحوافز في العمل الحكائي (السردية) يسمى تحفيزا motivation أما الباحث الروسي : (بروب v Propp) فقد اهتدى إلى نظام الوظائف بعيدا عن النظام اللغوي (الشعري) الذي اعتمده عصابة توماشوفسكي حيث جعل من الوظيفة فعلا يساعد على تطور أحداث الحكاية والوظيفة هي : (فعل الشخصية قد حدد من وجهة نظر دلالاته في سيرورة القصة) وتقتصر الوظيفة على أفعال الشخصيات ودورها في تطور القصة .

(الحكاية) وقد قدم استنتاجات استقرائها من دراسته لمائة (100) خرافة روسية .

1 : سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت/لبنان ، ط3 ، الدار البيضاء المغرب ، 1997 ص29.

2 : المرجع نفسه، ص 29.

3: المرجع نفسه، ص29.

وعدد النتائج هي كما يلي وباختصار ¹:

1. الأحداث الثابتة والدائمة هي وظائف الشخصيات مهما كانت .
2. عدد الوظائف التي تتضمنها الخرافة محدود بإحدى وثلاثين (31) وظيفة.
3. تسلسل الوظائف متشابه دائما (إن جميع الخرافات العجيبة لا تعرض الوظائف كلها إلا أن غياب بعضها لا يؤثر على نظام تتابع الأحداث) .
4. كل الخرافات العجيبة تنتمي إلى نفس النمط .

وفي مقابل اشتغال الشكلايين الروس بالعمل الأدبي كانت في نفس الفترة محاولات في الغرب الأنجلوسكسوني تحاول تخليص الأدب في النظرة الأرسطية وخاصة منه العمل الحكائي الدرامي والتي ترى (النظرة الأرسطية) أنه شكل من أشكال تصوير الواقع أي محاكاة للواقع . لذا حاول كل من "فورستر" و "موير" إدراج أسس بنيوية تتعلق بمكونات العمل الحكائي مثل الرؤية السردية ، وأشكال الرواية، وبعض القضايا الفنية للعمل الحكائي لفضاء والزمن وأنواع الشخص...².

وأكد النقد الفرنسي التطور الذي وصل إليه الشكلايون الروس خاصة أصحاب النقد الجديد في مجال السرديات حيث حدد "جيرار جينات" بحثه في المنهج ضمن كتابه III figures خاصته في القسم المرسوم ب(خطاب الحكاية) du récit discours وغريماس الإجراءات العامة (الدلالة البنيوية) (sémantique structurelle) كما اهتم رولان بارت بصياغة (مدخل للتحليل البنيوي للسرد) introduction structurécit في الوقت الذي كان فيه تودروف يحدد أهم قضايا الشعرية في qu'est ce que le structuralisme .

1 : عبد الوهاب الرقيق، في السرد ، دار الحامي للنشر ، صفاقس تونس ط1، 1998 ص .

2 : حميد الحميداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب، بيروت لبنان

، 2000 ص 16.

وهذا ما سمح بظهور نوعين من السرديات الأولى موضوعاتية thématique أي (تحليل الحكاية والمضامين الحكائيّة) والثانية شكلية formelle أو صيغة model .

كما اهتمت السينمائية الفرنسية بالعمل السردى (مدرسة باريس) sémio-narrative¹.

يؤكد تودوروف في مقاله "مقولات الحكى الأدبى وكتابه "قواعد الديكامرون" "الشعرية تميز توماشوفسكى بين المثالحكائى بوصفه نظام الأحداث والمبنى الحكائى بوصفه نظام الخطاب وأن كل عمل حكائى ينطلق من متاليات سردية أساسية تقضى إلى المقطع وهو أصغر وحدة سردية ويتكون المقطع بدوره من مجموعة من الجمل السردية والجملة السردية تمثل الملفوظ الذى لا يتجزأ أو يتكون من مسند ومسند إليه وبمائل الوظيفة عند بروب مثل "اختطف التنين الفتاة" -اختطف- ب .

وترتبط الجمل السردية فيما بينها بعلاقة منطقية (سببية) أو علاقة استتباع (تتابع الأحداث) التي تربط الجملة السبب بالجملة النتيجة .

وتحدد أسماء الأعلام الشخصيات والنعوت (الصفات) وهذه الصفات تنقسم إلى حالات وخصائص أو سمات مميزة .

حالات مثل (سعيد ، غير سعيد) خصائص مثل (فضائل، عيوب) والأفعال فتشمل الأحداث وهناك ثلاثة أنواع من الأفعال أفعال تعدل الوظيفة ، وأخرى تقترب ، وأخرى تتعاقب . والجملة السردية تكون واحدة من 5 صيغ .

1. الصيغة الإخبارية indicative: وهي الأحداث التي وقعت فعلا

2. الصيغة الإلزامية obligatoire: إرادة جماعية ، قانون جمعي ...

3. صيغة التمني obative: ما تريد الشخصية حدوثه

4. الصيغة التنبؤية prédicative: في حالة معينة سيحدث س.

1 : عبد الفتاح الحجمري ، التخييل وبناء الخطاب في الرواية العربية المدارس، الدار البيضاء المغرب، ط1، سنة 2002، ص7.

5. الصيغة الشرطية conditionnel : إذا فعلت كذا سأفعل كذا¹

والمقطع هو نظام كامل من الجملة السردية ، ويشكل حكاية بسيطة في حداته ، والحكاية يجب أن تحتوي على مقطع واحد على الأقل ، ويمكنها أن تشمل عدة مقاطع ، ومن أنواعه التضمين أو التسلسل أو التناوب²

ثم يقسم "تودوروف" قضايا تحليل النص الأدبي إلى ثلاثة مظاهر ، المظهر الدلالي ، المظهر اللفظي والمظهر التركيبي .

1. المظهر الدلالي :³ هو ثيمات les thèmes أو أغراض النص الأدبي ، ويتحدد ذلك بدراسة

الكيفية التي يدل بها نص من النصوص وعلى ما يدل ؟.

2. المظهر اللفظي :⁴ هو المكون الأساسي للنص الأدبي ويعني بكيفية تقديم الرسالة اللفظية كما

يتميز "تودوروف" بين ثلاثة أنماط من الخصائص التي تنقلنا من الخطاب إلى التخيل ، الصيغة

والزمن والرؤية ، فمقولة الصيغة تتعلق بدرجة حضور الأحداث التي يستدعيها النص ومقولة

الزمن تتصل بالعلاقة بين خطين زمنيين ، خط الخطاب التخيلي (ويجلى بواسطة التسلسل

الخطي للحروف الصفحة ، أو صفحات الكتاب)

وخط العالم التخيلي وهو أشد تعقيدا لأنه غير مقيد بتسلسل معين

أما مقولة الرؤية فتمثل وجهة النظر التي نلاحظ منها (حسبها) الموضوع ونوعية هذه

الملاحظة..... الصحة ، الخطأ ، الجزء ، الكل ، القرب ، البعد،.....

1 : د/ خليل رزق، تحولات الحكمة ، مؤسسة الإلشراق ببيروت، ط1 ، لبنان، جانفي، 1998، ص22 .

2 : المرجع نفسه، ص23.

3 : ينظر :تودوروف -الشعرية-، ترجمة شكري المبحوث ورجاء سلامة - دار طوبقال الدار البيضاء ط2 المغرب 1990، ص

50.

4 : المرجع نفسه، ص 45 .

3. المظهر التركيبي :¹ ويعني بمظاهر التنظيم النصي ، ويخضع هذا النظام -حسب تودوروف-

إما لمبدأ السببية بإدراجها ضمن نظام زمني معين وإما يعرض دون اعتبار زمني .

ويسمى النظام الأول بالنظام الزمني المنطقي ، والنظام الثاني بالنظام المكاني .

أ. النظام المنطقي الزمني : ويفهم عادة بعلاقة الاستتباع أو السببية ارتباط وثيق بالزمنية وأن

السببية تكون المبني الحكائي أما الزمنية فتكون الحكاية .

ف"مات الملك ثم ماتت الملكة " حكاية

و "مات الملك ثم ماتت الملكة حزنا عليه" مبني حكاوي

ب. النظام المكاني : الأعمال المنتظمة وفق هذا النظام لا تسمى في العادة قصصا لأن العلاقة

المنطقية في هذا النظام لا يعطى لها أي اعتبار ، وإنما تنظم القصص من خلال انتظام

العناصر المكانية فمن الممكن أن تخضع قصة بكاملها إلى هذا النظام ويرى تودوروف أن

الأدب اليوم يتجه نحو قصص من نوع مكاني وزمني على حساب السببية وخاصة كتاب الرواية

الجديدة كما استبدل "تودوروف" برأي بروسست حين وصف عمله "بالكائدرائية" .

المزج بين هذه الأنظمة هو ما نجده حقا في الأدب ، فالسببية المحض تحيلنا على الخطاب

النفعي ، والزمني المحض تحيلنا على الأشكال الأساسية للتاريخ (المكانية) المحض تحيلنا على

المظاهر الشكلية .

يعتمد " جيرار جينات" G.Ginette نظاما سرديا شاملا في كتابة "خطاب الحكاية"² Discours

du récit سنة 1972، انطلاقا من تميز أنواع الحكوي إلى :

1. الحكوي بمعنى الملفوظ السروي : وهو الخطاب الشفوي أو الخطي الذي يتعهد أن يخبر

حدثا أو سلسلة من الأحداث .

1 : ينظر : تودوروف-الشعرية-، ترجمة شكري المبخوني ورجاء سلامة ص 58 .

2 : جيرار جينات، خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم- عبد الجليل الأزدي وعمر الحلي -منشورات الاختلاف-الجزائر 2000

ص، 45 .

2. الحكّي بمعنى تتابع الأحداث (واقعية أو خيالية)

3. الحكّي بمعنى الحدث الكلامي أو الفعل السردّي .

للعمل السردّي ثلاثة أبعاد :

1. الحكاية Histoire: وهي المدلول أو المضمون السردّي .

2. الحكّي "القصة" Récit: وهي الدال أو الملفوظ أو الخطاب أو النص السردّي ذاته.

3. السرد Narration: الفعل السردّي المنتج

يعتمد جينات المقولات الثلاثة لتودوروف ال أي حددها في كتابه الحكّي الأدبي وهي

. La catégories du récit

الزمن : وجهاته (المظهر) الصيغة.

ويختلف مع تودوروف في المظهر (الجهة) Aspect و الصيغة بينما يتفق معه في مقولة الزمن

دون تعديل .

1. الزمن : دراسة الزمن تهتم بالعلاقات بين الحكّي والحكاية وتندرج تحتها (الترتيب الزمني)

. L'ordre temporal

والمدة la durée دراسة السرعة والتواتر la fréquence تكرار الحدث في القصة الواحدة.

2. الصيغة¹ la mode ويدرّس فيها كيفيات التمثيل السردّي وتنقسم إلى: المسافة la

distance ويميز فيها حكي الأحداث (قصة) الأحداث (récit d'événement) وقصة

الأقوال récit des paroles .

وتشمل على ثلاث أنواع من الخطاب :

أ. الخطاب المسرود أو المحكي ويسمى بقص الأفكار أو الخطاب الداخلي المسرود.

1 :جيرار جينات،المرجع السابق، ص177.

- ب. الخطاب المنقول غير المباشر :المحول بالأسلوب غير المباشر مثل "قلت لأمي إنه لم يكن لي بد من الزواج من البرّثين " .
- ت. الخطاب المحكي المباشر.
3. المنظور perspective¹ وهو الرّؤية أو وجهات النظر ويسميه جينات ب التّبئير focalisation الحكاية غير المباشرة ، أو ذات التّبئير في درجة الصفر ، الرّؤية من الخلف الراوي العليم :الراوي < الشخصية .
- القصة(الحكاية) المباشرة أو ذات التّبئير الداخلي : الرّؤية مع الراوي =الشخصية.
- الحكاية ذات التّبئير الخارجي : الرّؤية من الخارج .
- الراوي غير العليم : الراوي >الشخصية .
- الصوت : ويدرس من خلاله الأنواع السردية ومستويات الحكاية والسارد وعلاقته بالحكاية .
- أ. زمن السرد : يرد جيران دينات أربعة أنواع من السرد حسب الوضعية الزمنية للقصة .
- السرد اللاحق la narration ultérieure : وهو الموقع الكلامي للحكاية بصيغة الماضي .
- السرد السابق la narration antérieure : وهو الحكاية التكهنية بصيغة المستقبل عموماً ، ولكن لا شيء يمنع من انجازها بصيغة الحاضر .
- السرد المتواقت(المتزامن) simultanée وهو الحكاية بصيغة الحاضر المتزامن للعمل.
- السرد المقحم (المدرج) intercalée تتداخل فيه الحكاية بالسرد حيث يؤثر السرد على الحكاية ويظهر مثلاً في الرواية القائمة على تبادل الرسائل بين شخصيات مختلفة .
- ب. المستويات السردية :¹ يفرق جينات بين مستوى أول هو السرد الابتدائي أو السرد من الدرجة الأولى والسرد من الدرجة الثانية عندما يكتب مؤلف رواية(حكاية) يمثل هذا العمل سرداً

1 : المرجع نفسه،ص 200.

ابتدائيا للحكاية أما إن أخذ الكلمة داخل هذه الحكاية شخصية أو حتى الراوي نفسه ليقص حكاية أخرى فذلك هو السرد من الدرجة الثانية .

ج. علاقة السارد بالحكاية : ويقسمها إلى قسمين :

• السارد الغريب عن الحكاية

• السارد المتضمن في الحكاية

طور (أ ج غريماس A.J.Greimas) النموذج الوظيفي لأبحاث فلاديمير بروب معتمدا في ذلك

على مفهوم (الدور le rôle) كبديل لمفهوم الشخصية، والشخصية لا تقتصر دلالتها على

الإنسان وإنما هي كل ما يقوم بعمل في الحكاية سواء أكان جمادا أو حيا تعد شخصية حكاية.

تعريف الشعر:

قال العرب قديما (إن الشعر أنفد من السم) فهذا التعريف البسيط المختصر بل كل هذا الإعجاب

الشديد الذي يلقاه الشعر وهو ما حظي به الشعراء قديما ، وبسبب هذه الأهمية كانت القبائل

العربية تقيم أعراس إذا نبغ فيه شاعر وتمنحه ثقة التحدث باسمه والدفاع عن مكانتها وشرفها بين

القبائل ، وأحيانا حق قيادتها في السلم والحرب ، وربطه بالسحر يترجم عجز الإنسان آنذاك عن

تفسير وتعليل الظاهرة الشعرية باعتبارها قوة مؤثرة بشكل قوي وفعال ، يقف أمامها المنطق والعقل

عاجزا بين فتتفد إلى نفس الملتقى لتستولي على أعنتها وتحدث فيه أثرا لا تعرف له تفسيراً.

هذا الغموض المهيمن جعل من الأقدمين اللجوء إلى أرجائها إلى قوة خارجة من ذات الإنسان

تلهمه شعرا متميزا وحددت هذه القوة في الجنة والشياطين .

وذهب خيال الناس إلى تحديد الموضوع الذي تقيم فيه وهو : وادي عبقر لذلك نسب إلى كل من

أظهر تفوقا -فقبيل عن فلان عبقري وهكذا- فقد قال علي جواد الطاهر (فعل العرب للشعراء الجن

والشياطين تأمرهم وتنهاهم وتعبث بهم وتتحداهم ، ولولا الشيطان لما كان الشاعر ولكل شاعر

شيطان يعينه وباسم خاص ، وكان من الشياطين الأنثى والذكر ، وحسب عرب القرآن وحيا كوحى الشعراء فشرح لهم الرسول (ص) معنى وحى السماء بل أنه جعل مع حسان (روح القدس) ومن هذا فقد ظلت لفظة الشيطان معروفة سائدة في الشعر ولدى الشعراء).

وليس العرب وحدهم الذين أرجعوا طاقة الشاعر المتميزة إلى قوى خارجية فالإغريق كذلك كانوا يعتقدون بوجود آلهة تتحكم في مصير الشاعر.

فإن رضيت عنه أبدع وإن غضبت عليه جفقت قريحته وجواد الطاهر "ولا غرور إن افتتحت الإلياذة بـ (غني) (كذ) (أيتها الآلهة) غضب أخيل) والأوديسة بـ (أي ربة الشعر ، حدثيني عن الرجل الذي رأى عادات أناس كثيرين ومدائنهم) وغيرها وقد تشعر الموهبة الشاعر بالتميز في المجد وثورته الخيلاء ، وقد تدفع بالفكر الضائق درعا بالفنان التي يتخذها حجة في الحد من منزلته ، كما فعل أفلاطون إذ رأى الشعراء مجردين من الإرادة والعلم بما يصنعون (وإنما يلهمون إلى قول ما تدفعهم ربات الشعر على قوله) واستمر تقليد الآلهة في الآداب الغربية حتى بعد المسيحية " ¹.

ولو سلمنا بما سبق فسنكون قد سلمنا كذلك بعدم خضوع الإبداع الشعري لإرادة الإنسان المبدع وكان بذلك أداة تنفيذ طبيعة وهذا ما لا تقره النظرة الحديثة وإنما تعمل على ترسيخ نقيضه فهي تؤكد على أن الشعر عمل إرادي وأن عنصر الإرادة تبدي - كما يقول جواد الطاهر "أكثر إذا ابتعدنا في نظراتنا عن الإثبات والمقطات (كذا) والقصائد القصار إلى الملاحم والمسرحيات والقصص الحديثة وإذا تقدمنا في مدارج الحضارة فقلل الناس من نسبة كل شيء إلى ما وراء الطبيعة وقلل الشعراء أنفسهم اكتساب المجد عن طريق التعمية مالوا إلى طرق موضوعات وأنواع تحتاج فكرا وعقلا على قدر ما تحتاج من العاطفة والخيال ولهذا وجد في العصر الحديث من رأي الشعر عملا إراديا وسخر من الوحي والإلهام ودعا إلى الشعر الصعب".

1 : عمار بن زايد، النقد الأدبي الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990 ، صص 79، 80 .

وقد كان الشعر لا يزال رفيق الساكن في أعماقه أنى وحيثما وكيفما كان يقول ميخائيل نعيمة (الشعر رافق الإنسان من أول نشأته وتدرج معه من مهد حياته في ساعته الحاضرة من الهمجية إلى البربرية إلى الحضارة إلى مدنية اليوم ، تمشت الإنسانية والشعر سميها ومعزيها ومشجعيها ومقويها رافقها ويرافقها في الحل والترحال ، والعمل والبطالة والفرقة والقلّة والحرب والسلم والبؤس والرخاء" ورغم كل هذا يظل السؤال مطروحا ما هو الشعر؟ هل الشعر هو الكلام الموزون المقفى ؟ هل الشعر شعور وعاطفة وخيال؟ اسم الشعر هو شيء من كل شيء :شيء من الشعور ومن الفكر ومن الخيال ومن العاطفة ؟

يمكننا منذ البداية أن نلاحظ وجود تعريفين للشعر :

الأول : يعتمد على الجانب الشكلي ويركز أساسا على عنصري الوزن و القافية ، وهذان العنصران تشترك فيها القصائد الشعرية والقصائد المنظومة لأغراض تعليمية في مجالات بعيدة عن مجالات الشعر كالقواعد اللغوية العروضية والنظريات الفلسفية والمعارف العلمية.

الثاني : بالإضافة إلى اهتمامه بالوزن والقافية يهتم اهتماما رئيسيا بالإحساس والعاطفة والخيال ويكون منبع القصيدة قلب الشاعر ومستقرها قلب الملتقي ومصدر استلهاها الحياة والطبيعة بكل أبعادها ودلالاتها ولا سيما النفسية منها ، ومن الواضح أن هذا التعريف حديث ، ويقول به أصحاب الاتجاه الرومانتيكي وفي هذا المنحى يندرج تعريف هازلت للشعر ، يقول : (فليس الشعر فرعا من فروع المعرفة ولكنه المادة التي تكونت منها حياتنا ، أما سواه فشيء منسي وخطاب مدفون لأن كل شيء يسمو في الحياة بمقدار ما فيه من الشعر ، الخوف شعر والأمل شعر والحب شعر والإرادة شعر ... إلخ

1 كمل هذه شعر فالشعر هو أدق أجزاءنا الداخلية وهو الذي يوسع ويرفق ويهذب ويسمو بوجودنا ويعرف عبد الرحمان شكري الشعر شعرا في مقدمة الجزء الثاني من ديوانه اللي الأفكار فيقول:

وانم الشعر مرآة لغانية *** الحياة فمن سوء وإحسان

وانما الشعر تصوير وتذكرة *** ومتعة وخيال غير خوان

وانما الشعر إحساس بما خفقت *** له القلوب كأقدار وحدثان

من كل معنى يروع الفهم طائله *** معنى من الجان في لفظ من الجان

فالشعر حسب ما سبق هو أداة عميلة لاستيعاب الحياة بأبعادها المختلفة البعد الذاتي والبعد الموضوعي وهذه الأداة الجميلة التي هي الشعر تتكون حسب هذا التعريف من العناصر التالية: الخيال، الإحساس، المعنى واللفظ وإذا تأملنا هذه العناصر فانت نجد الخيال والإحساس مرتبطين بالجانب الفني، بما فيه من التصوير وقدرة على الإمتاع بينما نجد المعنى مرتبطا بالجانب الفكري وما يعبر عنه من مواقف في الحياة، ويبقى اللفظ عنصرا مشتركا بين الجانب الفني والفكري على نحو لا يمكن فيه الفصل بين ما هو فكري وما هو فني .

ويعرف عباس محمود العقاد الشعر على أنه (حقيقة الحقائق، ولب اللباب والجوهر الصميم في كل ماله ظاهر في متناول الحواس والقول هو ترجمان النفس والناقل الأمين عن لسانها فإن كانت النفس تكذب فيما تحس به أو تراجي بينها وبين ضميرها فالشعر كاذب وكل شيء في هذا الوجود كاذب والدنيا كلها رياء، ولا موضوع للحقيقة في شيء من الأشياء، قد يخالف الشعر الحقيقة في صورته ولكن الحر الأصل منه لا يتعدها ولا يمكن أن يشذ عنها لأنه لا حقيقة إلا بما ثبت في النفس واحتوته الحواس والشعر إذا عبر عن الوجدان لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى).

وهذا التعريف للشعر من طرف العقاد يلتقي مع تعريف شكري في اعتبار النفس مصدرا للفن الشعري الذي بمقتضاه تتحدد مكانة العمل الإبداعي (والشعر يخالف الحقيقة في صورته لأنه لا يعبر عنها مباشرة ، بل يعتمد على التصوير الفني والتلميح والإيحاء ¹ وهو مع ذلك لا يبتعد عن حقيقة التجربة الشعورية التي يعيشها ويعمل جهده لإخراجها بكيفية فنية لا يخفى ما فيها من معاناة صادقة وبعبارة بسيطة ودقيقة قالها العقاد (الشعر هو التعبير الجميل عن الشعور الصادق) .

ويلتقي رمضان حمود في تعريفه للشعر مع جماعة الديوان ولا سيما العقاد فهو يقول في مقاله بعنوان (حقيقة الشعر وفوائده): (قد يظن البعض أن الشعر هو ذلك الكلام الموزون المقفى ولو كان خاليا من معنى بليغ وروح جذاب وأن الكلام المنثور ليس بشعر ولو كان أعذب من الماء الزلال وأطيب من زهور التلال فهذا يظن فاسد واعتقاد فارغ وحكم بارد فالشعر كما قال ك شابلن (هو نطق بالحقيقة -تلك الحقيقة الشاعر بها القلب- والشاعر الصادق قريب جدا من الوحي) نعم فهو أعلى منزلة من أن يتناوله (كذا) هؤلاء الناظمون الماديون عبير التقليد وأعداء الاختراع إذ لا يدرك كنهه إلا من له فكر ثاقب وعقل صائب وذوقا سليم حتى يقدر أن يستخرج نزه من صدقه وسميته من غثه وإن نبش دفائنه لغير هاته الآلات الثلاث فقد حاول مستحيلا وطلب أمرا عسيرا وكان من الذين أتوا بكلام لا يحرك سامعا .

وفي هذا الموقف من رمضان حمود ثورة على أولئك المقلدين الإبتاعيين الذين ظلوا بعبيدين عن عصرهم في نظرتهم للشعر وفهمهم له ففي وقت يشهد فيه الاتجاه الرومانتيكي قمة عمره الذهبي هناك من الشعراء ، والنقاد من لا يزالون في مستوى قدامة بن جعفر أو دونه رغم الفرق الزمني الشاسع بينه وبينهم ، فهم لم يزيدوا على ما قاله قدامة في الشعر من أنه الكلام الموزون المقفى ولم يكتفوا بجمودهم هذا بل راحوا يناهضون كل مسعى للتجديد مما دفع رمضان حمود الممتلئ لعنفوان الشباب إلى وصفهم بعبيد التقليد وأعداء الاختراع .

1 : عماد بن زايد، المرجع السابق، ص 83.

إن رمضان حمود لا يرى الشعر على أنه وزن وقافية فقط ولكنه شعور وإحساس صادق مما يجعله قريبا جدا من الوحي وشعر بهذا المفهوم لا يستطيع قوله إلا من توفرت له مزايا ثلاث- حسب رأيه وهي الفكر الثاقب- العقل الصائب -والذوق السليم وهذه المزايا الثلاث لا يتوفر عليها -حتما- أولئك المقلدون الذين هاجمهم واعتبر كلامهم مجرد كلام عاد ، لا يطرب سامعا ولا يحرك ساكنا .

والشعر عند رمضان حمود " تيار كهربائي مركزه الروح ، وخيال لطيف تقذفه النفس ، لا دخل للوزن والقافية في ماهيته ، وغاية أمرهما أنهما تحسينات لفظية اقتضاها الذوق والجمال في التركيب ن لا في المعنى كالماء ، لا يزيده الإناء الجميل عذوبة ولا ملوخة وإنما حفظا وصيانة من التلاشي والسيلان ، فعلى تلك السمنة وذلك المجرى وضع العرب ديوانهم وهم أجلاف أميون لم يدخلوا مدرسة ولم يتلقوا حكمة ولم يعرفوا وزنا ولا قافية .

-بعد أن قررنا الخليل- وإنما حاكوا بشعرهم أوزانا وتلقوها على الطبيعة المترنمة وكانت صالحة لاحتواء ما يختلج في صدورهم النقية من العواطف ، كالحب والبغض والسرور والحزن فنسبوا ومدحوا ورتوا وهجوا ووصفوا وأبكوا الأطلال ولو قصدوا بالشعر والوزن والقافية لما قالوا في بداية الدعوة المحمدية - على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيات- إن القرآن شعر وإن صاحبه شاعر مجنون مع علمهم أنه كلام مرسل لا اثر للوزن فيه وأن صاحبه لم يسمع منهم بيتا في السوق من أسواقهم ولا في مجتمع من مجتمعاتهم ولا تحدث عنه أحد بذلك ، وإنما هو الكلام المبني والقرآن الحكيم تركهم في ربيهم يعمهون " ¹ .

ومهما يكن من أمر فإن الموهبة ضرورية وأساسية في إيجاد شاعر حقيقي ، ولكنها وحدها غير كافية ولا يمكن أن تجعل منه شاعرا ، اللهم إلا إذا كان شاعرا بلا شعر فذلك أمر آخر ويمكن أن يتجاوز دائرة الإنسان إلى دائرة سائد المخلوقات ، أما أن يكون الشعر فلا بد من الثقافة بصفة

1 : عماد بن زايد، المرجع السابق، ص 83.

عامة والثقافة الشعرية بصفة خاصة ، لأن الشعر رصهما كان صادقاً وأصيلاً، لا يمكن أن ينتقل من ذات صاحبه إلى ذوات الآخرين بكيفية مؤثرة وغير آنية ، إلا إذا تجسم في عمل متكامل شكلاً ومضموناً، وما عنصر الوزن والقافية اللذان أشار إليهما رمضان حمود -إلا جزء من الشكل الفني وليس الشكل كله، ثم إن هذا الفصل بين الشكل والمضمون فصل مفتعل لأن الشكل -كما يقول الدكتور عبد- "هو الواجهة والسياج الخارجي للتكوينات الفنية، والكيان والتركيب الداخلي لهما من أجل خدمة التعبير ووظيفة الشكل بالدرجة الأولى هي الإعلان عن مضمون العمل الفني بطريقة تشرح وتساعد على إبراز الإحساس الجمالي للقطعة الأدبية أو الفنية بغية توضيح حقائق الحياة وحقيقة الأحاسيس والمشاعر¹.

العنصر القصصي عند مفدي زكرياء :

الملحمة في أساسها قصة شعب ، ولذلك فمن أركانها الهامة أن تكتب بأسلوب سرد قصصي يتصف بالحركية والتشخيص والتشويق .
أن من يقرأ اللمب المقدس يتبين لهي أن فيها جهداً كبيراً بذله الشاعر ليحقق لأسلوبه صفة السرد القصصي لكنه لم يحقق من ذلك إلا القليل ، فعنصر القصة واضح في اللمب المقدس من حيث مظهره المتمثل في الحكاية عن الآخرين وسرد الأحداث والوقائع لكنه أسلوب قصصي تنقصه الروح القصصية ، وهذه الظاهرة ترجع إلى سبب رئيسي وهو اضطرار الشاعر إلى الاختصار الشديد.

1 : المرجع نفسه، ص 86.

فمفدي في ملحمة البالغة ألفا من الأبيات تناول تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى الآن وبالتحديد من القرن الثالث قبل الميلاد إلى العقد السابع من القرن العشرين ، وهذا التاريخ كان يشمل مختلف الحضارات التي عرفتها الجزائر .

وبإجراء مقارنة بسيطة بين هذه الفترة الطويلة (23 قرنا) وبين حجم الملحمة يتبين لنا أن هناك تناقضا صارخا بين وفرة المادة المرصودة لها وغزارتها من جهة وبين المساحة الضئيلة المخصصة لها من الأبيات من جهة أخرى .

فالشاعر أمام هذه الحالة إما أن يكون مخلا كثيرا من الأحداث الهامة ، في سبيل أن يوفر لأحداث أخرى فراغا أوسع يمكنه من تصوير هذه الأخيرة المنتقاة تصويرا قصصيا يراعي فيه جوانب هذا العنصر من تشخيص وحبك.....وفي هذه الحالة سيتصف اللهب المقدس بال نظرة الجزئية الانتقائية وتبتعد عن الشمولية في تناول الأحداث .

وإما أن يقع الشاعر في الاختصار الشديد للأحداث والوقائع رغبة في إيرادها جميعا ، وجعل ملحمة شاملة وفي هذه الحالة سيكون الضحية زهو العنصر القصصي الذي يتطلب نوعا من الحرية .

ولعل من المفيد أن نأخذ نموذجا يوضح ما نذهب إليه من الاختصار الشديد فقد خصص الشاعر للفترة الممتدة من بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر حتى اندلاع الثورة المسلحة ستة عشرة مقطعا أي مائة وستين بيتا¹ .

إن رغبة مفدي في استيفاء الأحداث كانت واضحة وقد حققها بنجاح الشيء الذي أفقد الملحمة العنصر القصصي ، وقد كان من اللازم لتحقيق العنصر القصصي أن يتناول مثلا ثورة من الثورات بشيء من التفصيل ، أما الاكتفاء بذكر اسم الثورة وأصحابها ومكانها....فليس من القصة في شيء .

1 : يحي الشيخ صالح ، المرجع السابق، صص 234-235 .

لكن بالرغم مما رأيناه فإننا لا نعدم باللهب المقدس مفدي مقاطع قليلة أو جملة من الأبيات يبرز فيها العنصر القصصي رائعا أذا أخذنا حبذا لو كانت قصيدة اللهب المقدس كلها على نسقه . من هذه الأمثلة الشاذة حادثة تتعلق بالشيخ الحداد الذي ذكر الشاعر عنه أنه ألقى عصاه في سوق القرية وسط الجماهير وهو يقول : " سنرمي الفرنسيين في البحر كما رميت بهذه العصا على الأرض "

وحداد في السوق ألقى عصاه *** وأعلنها في الذرى والبطاح ¹

كمثل عصاي سألقي الفرنسيين *** في البحر أدركتهم بالرماح

ففيه نوع من الحركية وشيء من التفصيل في الوصف تحقق بهما العنصر القصصي ، ولعل أبرز تجل للعنصر القصصي نجده في المقطع الذي يشيد فيه الشاعر بجهاد الحيوانات وبيارك نضاله . فالشاعر يضع أمام المجاهدين حيوانات حقيقية لأنها هي الأخرى جاهدت بما تستطيع وقدمت أيادي بيضاء لا تنسى .

ولا يكتف الشاعر بذكر الحيوانات في ملحمة وغنما يؤكد أن ملحمة تعتر بذكرها مما يعمق تلك الإنسانية الشاملة .

الدراسة الأسلوبية لمفديزكرياء :

1. المستوى الصوتي :

إن الفرق الأساسي بين الشعر والنثر هو الموسيقى وأن سبيلنا للتمييز بينهما هو الأذن ذلك أن

الشعر يمتاز بزخرفته الموسيقية تدرجها الأذن قبل أن يدرك الفكر ما فيه من معان .

ويدخل في الموسيقى "الوزن" وهو الموسيقى الناتجة عن تتبع تفعيلات معينة تتكرر في كل بيت

دون تغيير كما في الشعر التقليدي ، أو تتذكر بعدد معين من الأبيات وكذلك "الإيقاع" وهو مأخوذ

من وقع اللحن أو الغناء ، وهو موسيقى ناتجة عن وسائل متعددة أهمها تكرار كلمات معينة ، هذا

1 : المرجع نفسه، ص 236- 237 .

وغيرهما من الجرس والقافية سوف نتطرق لهما بالتفصيل في شرح مطول لأثرهما في شعر مفدي زكرياء .

أ. القافية :

" الشعر هو الكلام الموزون المقفى " فهذا التعريف يدل على أهمية الوزن بالنسبة للشعر بوجه عام وقد بقي لهذا التعريف صدهاء عند بعض الشعراء المعاصرين فقد قال مفدي زكرياء : " وإذا ما خلا الشعر من الموسيقى مع دقائق القلب خلا من عنصر الخلود".¹

والقافية هي المؤخر ، وفي اصطلاح العروضيين "هي على الأخص" وعرفها الخليل "بأنها آخر ساكن في البيت إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله".²

وقد أولاه النقاد قسطا كبيرا من اهتمامهم ودراساتهم ، فالغاية بالشعر إنما هي بالقوافي لأنها المقاطع وفي السجع كمثل ذلك نغم وفي نص ابن جني تجلت قيمة القافية في الشعر وفي النثر ولعل مرد ذلك إلى أن كليهما لها أهميتها في الإيقاع ، وانطلاقا من هذا اهتموا بحرف الروي في القصيدة ، ذلك لأن بناء القصيدة على حرف معين له دلالاته التي تجمع بين المعنى والموسيقى أما ابن قتيبة فيرى أن الوزن من أسباب خلود القصيدة .

و عندما استقصينا شعر مفدي ، تبين لنا أن الشاعر قد يلجأ إلى التنويع في قوافي القصيدة الواحدة وهذا التنويع مرتبط بالحدث والمناسبة ومن ذلك قصيدته التي نظمها عندما فجرت فرنسا القنبلة الذرية في الصحراء الجزائرية سنة 1956 ، فقد وجدناه في القصيدة ينوع في القافية والروي في مطلع القصيدة عن الأطفال الأبرياء وقد شوهتهم القنبلة الذرية متسائلا :

ما دهاه ؟ ويل أمة ما دهاه *** ويلتاه من جيله ويلتاه ؟

ماله في الحياة يولد أعمى *** لم تر الكون باسم مقتلاه ؟

ما له مقعد يد حرج رجليه *** وماذا جنى فشلت يداه ؟

1 : حواس بري،المرجع السابق، ص 276 .

2 : حواس بري،المرجع السابق ، ص 276 .

ومعنى هذا أن القافية ليست هي التي تشير إلى نهاية البيت ولكن نهاية البيت هي التي تشير إليها .

والقافية وحدها ليست قادرة على أن تلخص البيت ، بل لا تلاحظ أنها قافية إلا إذا وقع عليها النظر.

ب. الإيقاع :

وتحسب أن مفدي قد جمع في شعره بين الموسيقى الداخلية والموسيقى الخارجية وهذا عمل صعب وعناية مفدي بالموسيقى جعلته يعني بلغته ، فجاءت سلسلة سهلة ناصعة مع جزالة وفخامة تشير بدوي كلماتها المشحونة بنفس الحواس ونبر تركيبها الصارخ الصاخب إيقاعا رنانا يلحم بين التجربة والتعبير....إيحاء صوت الكلمات وتكرار حرف معين فيها، بالمعنى على حد ما يكشف عنها تتابع حرف السين ومعه الصياد في هذين البيتين من صفير معبر عن تصويت السلاح وتفشي الموت .

وسارت سرايانا لجولان تلتقي *** بجولان عزرائيل في ليلة الأسرى

وتبق اسرافيل بنفخ صوره *** فتصعق في سينا لرجفته الصحرا¹

ومثل هذا التكرار ينصب على كلمات بعينها ، أما في لفظ الجولان في المثال السابق وهو كثير عند الشاعر ، وقد يتخذ في بعض الحالات تلوينات بديعة كالجناس .

وقوله :

بناذقة لا بياذقة *** تحيد مع الضالين القمارا

وفي الرباط ارتبطنا طوع مشوارها *** فإن أسواره للمجد أركان²

وكالجناس في التحسين البديعي تشكيل الطباق والمقابلة ، وللشاعر فيه نموذج زيدوني رائع .

ما للجراحات تخفيها فتبدينا *** وللحشاشات نأسوها فتدمينا

وللفواجع تتساها فتفجرنا *** وللسهام تفاديها فتحميننا¹

1 :مفدي زكرياء، المرجع السابق صرص 90-101.

2 : المرجع نفسه.

ولعله واضح أن هذه التلوينات المحدودة جاءت عقوبة تلقائية لا يقصد بها الشاعر إلا التلاعب بالألفاظ وتكلف التزييق بالمحسنات، وهي بذلك تؤكد بأن الصياغة عنده لا تعطى على العواطف في وقت تساعد على التعبير عن التجربة وعلى إثارة الإحساس بالغيرة والنضال والشعور بالوجود. ولعلنا بهذا نكون قد بينا نجاح الشاعر في جمعه بين الموسيقى الخارجية المتمثلة في الإطار الموسيقي ، والداخلية التي تكشف عنها الأساليب الإنشائية تارة وأخرى تتجلى " في تكرار حروف بعينها في كل بيت شعري على حدا حتى يحدث تكرارها أصوات وإيقاعات موسيقية معينة تظهر في تكرار كلمات يخيها الشاعر تخيرا موسيقيا خاصا لتؤدي بجانب دورها في بناء الصورة الشعرية إلى توفير إيقاع موسيقي خاص بكل بيت على حدى"².

الوزن :

يشير مفدي في أثناء حديثه عن التجديد قضية الوزن ، حيث يصور ذلك على شكل حوار دار بينه وبين المجددين ، هم يقولون أن التقيد بالأوزان جمود لا مسوغ له ، ف شعرنا حر لا حاجة به إلى وزن ما ومفدي يرد عليهم بأن ما يقولونه هو ألا خلط لا انعدام جرس لإيقاع فيه ، ثم يتساءل عن ماذا يكون إذا لم يكن دوحا وأغصانا ؟ إي ذا إيقاع منسجم له نسق خاص بتنظيمه.

وقد بين لنا مفدي أنه لا يصدق إلا على الأشكال المتطرفة عن التحرر عند من ينادي بالموسيقى في الشعر ورأى مفدي الأغبار عليه، وقد يكون أصوب آرائه في مجال الشعر الحديث وهو رأى أغلب النقاد ، سواء في الغرب أو عند العرب فمنهم الشعر الحديث على أنه إلغاء كلي للموسيقى خطأ فادح ، ويكفي أن يزول عنصر الموسيقى من الشعر ليحكم عليه أنه لا ينتمي إلى دائرة الشعر، وإن كان يتمتع بأدوات فنية أخرى من تصوير وفكرة ولغة ورمز³.

1 : المرجع نفسه،ص ص 299-300.

2: المرجع نفسه، صص 299-300.

3 : يحي الشيخ صالح، المرجع السابق، ص 256.

ج. الجرس :

يطلق كثر من الدارسين مصطلح "الجرس الموسيقي" على موسيقى الكلمات والحروف (لا البحور) ويقصدون به وقع تلك الحروف والكلمات على الأذن .
لا غير أن الجرس لا يحمل معنى الرتوبة أو التردد المنظم كما هو في الإيقاع مثلا بل يعني سيطرة صفة صوتية معينة على الأذن ، كالخفوت في حروف الهمس¹ مثلا ، وكالشدّة في الحروف الانفجارية² والجلجلة في الحروف المجهورة³ ، بينما الإيقاع نظام للتكرار والتقابل يدخل حتى مجال الأفكار .

وبصورة عامة هناك الموسيقى الخارجية ، ووسيلتها الأوزان أو البحور وهناك الموسيقى الداخلية ووسيلتها الإيقاع دائما، والجرس أحيانا ، باعتبار الجرس نتيجة من نتائج الإيقاع.
إن مصطلحات : الجرس والموسيقى والإيقاع لم تكن تستعمل عند النقاد العرب القدامى في مجال الدراسة النقدية ، كما يفعل النقد الحديث اليوم ، رغم شيوعها لديهم ، فقد كانوا يستعملون مصطلحي البلاغة والفصاحة ، الأول بمعنى الكلمة والثاني للفظها .
إن الهدف من موسيقى الشعر والتأثير ، شأنها في ذلك شأن الصورة الشعرية لكن الموسيقى تتدخل في تحديد مغزى الصورة ، ومعنى القصيدة بصورة عامة ، أي الموسيقى هي الأسهل والأبسط في عملية التدوق لدى القارئ أو المستمع ، وهي الأسبق زمنيا في عملية الإدراك والتمثيل .

إن شعر مفدي زكرياء نظرا إلى أنه شعر خليلي لم يتعد البحور الستة عشر فشعر مفدي ونظرا إلى كل ذلك ، يتوافر على كلا النوعين من موسيقى الشعر الخارجية والداخلية، فالأولى لا تلقى

1 : س.ش.ص.ت.ف.ه.ح.ك.خ.ت، نقلا عن نفس المرجع، ص 279.

2 : ويسمىها القدماء حروف الشدة، وهي : ط.ض.ك.ق.ب.د.

3 : منها : أ.ع.غ.ج.ل.م.ن.

ضوءا كبيرا على شاعريته لأنها عنده مثلها عند غير من الشعراء الخليليين ، أما الثانية فإنها بأنواعها الكثيرة تجد في شعر مفدي زكرياء مجالا خصبا تتخذه عنده أشكالا مختلفة وتؤدي إلى تأثيرات مختلفة أيضا ، لا يظهر من هذه الناحية بين شعر مفدي وشعر غيره فحسب بل أنه يتجلى واضحا بين مختلف قصائد مفدي نفسه .

وسنحاول في هذا الفصل توضيح ما ينتمي إليه ، عن طريق تحليل عينات من شعره فهي أصعب دراسات النصوص تحليلها موسيقيا للامساك بالخيوط الدقيقة التي تنظم من خلالها الصورة الموسيقية من شاعر لآخر ، وفي ذلك يقول د. عز الدين إسماعيل :

"الغموض الذي يكتنف الصورة المكانية وما تحدّثه فينا من آثار أقل بكثرة من تلك الأسرار المحيطة بالصورة الموسيقية"¹.

بل ربما كان من السهل الآن دراسة العناصر المؤثرة في الصورة الكافية...أو هي على الأقل أكثر طواعية لمن يريد أن يتفهمها من طبيعة الصورة الموسيقية وأثرها...
ومن حيث الموسيقى الخارجة في شعر مفدي زكرياء نرى أنه لا يختلف كثيرا عن غيره من الشعراء في الاعتماد على بحور معينة في الأغلب نظم عليه جل شعره.

إن البحور المشهورة عند مفدي هي نفسها تقريبا المشهورة عند الشعراء القدامى وهي : البسيط والطويل والكامل ، ومع فارق ملحوظ وهو أن مفدي اعتمد كثيرا بحر الخفيف بحيث احتل أكبر نسبة في التوارد في شعره ، ثم بحر الرمل الذي ارتفعت نسبه وردوده عند مفدي خلافا لما رأيناه عند القدامى من خلال المثالين المتقدمين .

لكن اهتمام مفدي بالخفيف والرمل كثيرا ظاهرة لها ما يفسرها ، فليس ذلك خاصا به أو شاذا فيه بل يمثل ظاهرة عامة عند شعراء النهضة والعصر الحديث .

¹ : عز الدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، ص 64 .

ومن حيث الموسيقى الداخلية نتطرق إلى تناول نماذج مختلفة من شعر مفدي ليتبين دورها في شعره ، قصيدة "وليدة القنبلة الذرية" قالها الشاعر إثر تفجير فرنسا قنبلة ذرية بصحراء الجزائر سنة 1956 .

أمام ذلك الحدث نلاحظ أنه لم ينل من اهتمام الشاعر كثيرا مما تعرض له الكبار من جراء إشعاعات تلك القنبلة وما سببته لهم من أخطار وتشوهات إذ أن ذلك بالنسبة للكبار لم يكن بالشيء الجديد ولا الحدث الفريد ، لكن الذي حرك عاطفة الشاعر في هذا الحدث وأثار تأثيره مصير ذلك الجنين الذي لا يزال في أحشاء أمه ، فلا يكتب له أن يرى النور إلا وهو مشوه الخلقة .

الشاعر الأصيل من أهم ما يتصف به رهافة الإحساس ورقة الشعور، فالجنين الذي لا يزال في الأحشاء هو مقعد أمال الثورة .

وقد رانت عليه مسحة من الحزن وتملكه الأسى فهو متوتر وما سلط على الجزائر من ظلم ترك من النتائج وما ليس إلى إزالتها من سبيل (تشوهات الجنين، إصابته بإعاقة، صوت الجنين...) ولذلك فإن حزنه لا يخفيه عنه إلا الشكوى والأنين اللذان عبرت عنهما القصيدة .

أحسن تعبير من طريق موسيقاها الحزينة الثقيلة التي تجعل السامع يعيش المشكلة عن طريق أذنه قبل أن يتأملها بفكرة معهد الشاعر لموسيقاه تلك ، بتلك الصورة التي بدأ عليها في مطلع القصيدة في صورة إنسان مفجوع.

يقول مفدي :

وما دهاه ويل أمة ما دهاه *** ويلتاه من جيله ويلتاه
 ماله في الحياة يولد أعمى *** لم تر الكون باسماء مقلتاه
 ماله مقعد يد حرج رجليه *** وماذا جنى فشلت يداه
 ماله أخرسا تتاجيه في المهد *** ولم تبتمس له شفثاه
 ولماذا لم يبك بين ذراعيها *** دلالا ولم يقل أماه

ألهذا الوجود جاء وحيدا *** أم له في زمانه أشهاه

وبلتاه من حيلة وبلتاه¹

وما يثير انتباهنا في هذا المقطع هو كثرة حروف المد الطويلة وورودها بنسبة تفوق 20% لما في المواضيع الأخرى .

سته مدود في البيت الأول ، مع عدم إمكانية لفظ الضمير في (أمة) و(حيلة) إلا ممدودتين ، لأن الموسيقى تقاس بالنطق لا بالكتابة ، أي ثمانية مدود في البيت الأول ، وستة في البيت الثاني وخمسة في البيت الثالث وأربعة في البيت الرابع وخمسة في الخامس

ومما هو متعارف عليه هو أن حروف المد المشبعة تتطلب بهذا في النطق وإشباعها يجعل النطق بها ثقيلًا وفي شيء من الصعوبة ، شأن من يتحدث في حالة تعب وانهايار ثم أن الهاءات تكررت كثيرا في المقطع الأول المتقدم .

فهي فيه ثمانية في البيت الأول والرابع والخامس وواضح أن الهاء بتكرارها يحدث صوتا ما يشبه "التأوه" ولا سيما عند وروده بعد ألف لين .

وقافية المقطع المتقدم عبارة عن هاء تسبقها ألف لين ، أي عبارة عن آهة تتردد في آخر كل بيت ، ثم أن البيت الأول وهو يمثل نفس الشاعر المصدر قد حوى أكبر عدد من حروف المتسع حروف وأكبرها حروف الهاء وهي ثمانية هاءات.

قذفته إلى الحياة يد المو *** ت فلم يقض في الحياة ربيعا

وسقته السموم في عالم الغيب فرنسا *** فجاء شكلا مريعا

ابن إفريقيا الشهيد وقد خر *** على مذبح الطغاة صريعا

اتخذت منه للتجارب قريا *** نا فرنسا فحطمته رضيعا

شوهت خلقه جريمته الكبرى *** وجرته للخراب سريعة

1 : مفدي زكرياء، المصدر السابق، ص ص 161 - 162.

ليته ظل في انفضاء بخارا *** ليته دام كالشعاع رفيعا

ليته ظل في السماء منبعاً¹

في هذا المقطع نرى أن حدة الحزن والتأثر قد خففت نوعاً ما ، فالشاعر قد أفرغ بعض شحنه شعوره البائع في المقطع الأول ، فتحول الأمر لديه من التأوه والشكوى إلى الصراخ من الاستكانة إلى الانفجار ، شأنه في ذلك شأن من يتلقى صدمة كبيرة تجعله يتخدر في البداية لشدها ، لكن سرعان ما يزول عنه "الخدر" ويعود إليه كامل وعيه ، فيحس بالأمة كما يحس بها من قبل ويتألم ويعلو صراخه فالقافية التي هي عبارة عن " عين" بين حرفي مد طويلين تحاكي صرخة المتألم بل أن العين المشبعة المد من جملة ما يسمع فيه صراخ المتألمين عادة.

شبح كالخيال لم يكن بلحسئ *** فيرجى ولم يمت فيواري

عاش جيران في عذاب وبؤس *** بين قوم معذبين حيارى

ظل يسعى إلى الفناء رويدا *** بانسا لا يغالب الأقدار

طحن الداء جسمه وأحال السقم *** ذراته هباء فطارا

نبتت من فطامه لعنات *** كالصواريخ نقمة وانفجارا

نازلات على طغاة فرنسا *** لم تزل كالجحيم تقذف نارا

حملتها العصور خزيا وعارا²

هنا يرهق الشاعر وبح صوته بالصراخ ، فيميل نحو الخفوت والفتور شيئاً فشيئاً وتهدأ حدة موسيقاه بعض الشيء ، لكنها لا تتحول إلى موسيقى مرحة ، يتجلى ذلك في القافية التي هي عبارة عن "راء" متحركة مفخمة بين ألفي مد طويلتين ، فهي تحاكي الصراخ جلجلتها وامتدادها لكن أخف من "العين" نوعاً ما ، وهي تناسب ما في صور المقطوعة من انفجار وتمرد (أحال

1 : مفدي زكريا، المصدر السابق، ص 162.

2 : المصدر نفسه، ص ص 162-165.

السقم ذراهبءاء فطارا - لعنات كالصواريخ نقمة وانفجارا - كالجحيم تقذف نارا حملتها العصور
خزيا وعارا) ،شعب إفريقيا أحاط به المكر فأمسى للمجرمين ضحية .

ورمته عبر القرون فرنسا *** طعمة القنابل الذرية
وسوى الموت فيه جيلا فجيلا *** يوم هزت شعوبه الحيوية
شعب إفريقيا ستنتصفك الدنيا *** وتصغي لك الشعوب الأبية
وسيحكي هذا الزمان ويروي *** للبرايا فصائح المدينة
فخذ الثأر من فرنسا وخذل *** في الضحايا تلك النفوس الزكية
وانفجر صارخاوقل يا فرنسا *** أنت في الأرض هفوة أزلية
يا فرنسا يا لعنة البشرية¹

في هذه المقطوعة الأخيرة يخفت الصراخ تماما ليتحول إلى أنين متقطع فحرفا المد (وهو ما كان يوحى بالصراخ) حذف تماما من القافية ، وخلفتها ياء مشددة سبقت التاء في تلفظ هاء ساكنة فهي عبارة عن أنين متردد : (يه، يه....) فيه تشديد على النقمة من جريمة فرنسا تجاه الإنسان. والخلاصة أن القصيدة عبرت موسيقيا عن مضمونها وعن حالة الشاعر النفسية وشعوره إزاء الحدث ، ربما بأبلغ مما عبرت عنه الصور الشعرية والأفكار ورسمت له منظرا حيا وهو يعيش الحدث الأليم ويعبر عنه ، هو نفسه المنظر المعروف عادة عند من تمر بهم نائبة جسمية تستولي على مداركهم وتهز كيانهم بعنف ، فالشاعر أصابه هول الحذر في البداية فكان متأوها ومتحدثا في شيء من الثقل والمشقة ، ثم خف عنه "الحذر" وأحس بالأمة فعلا صراخه، ثم أرهقه الصراخ و أبح صوته فأخذ يخفت ويهدم لينتهي أخيرا إلى أنين متقطع ولكنه لا يخل من التأكيد على فداحة الحدث وهو أقصى ما يصل إليه المتألم المعاني ، إذ أنه آنذاك لا يشتكى ويتكلم ، وإنما تتكلم الأمة وتعبر عن نفسها بلغتها الخاصة .

1 : مفدي زكرياء، المصدر السابق، ص 165.

"إن الشعر صنع لصناعة البساتين ، بمعنى أن كل قصيدة تخضع في نموها لقوانين طبيعتها"¹ وهذا الكلام وإن كان عاما ، إلا أنه يصدق على موسيقى القصيدة أكثر مما يصدق على العناصر الأخرى فيها فلكل قصيدة موسيقاها الخاصة بها والتي تنمو بطريقة خاصة أيضا ن بحيث لا تتطابق مع موسيقى أية قصيدة أخرى وإن تشابهت أحيانا ن لأن أساسها الحالات الشعورية وهذه الأخيرة تتشابه ولا تتطابق .

فهل يصدق ذلك على شعر مفدي زكريا؟ فنلاحظ فيه نمو خاصا لكل قصيدة على حدى وهل تتحقق فيه مقوله بوب من أن " الجرس يجب أن يكون صدى للمعنى"²

2. المستوى المعجمي :

أ. الدلالة :

فالشاعر يوظف لغته بدلالاتها المعجمية الدقيقة ، فكل لفظ مستعمل لأداء مدلوله اللغوي الذي وضع له ، ولا نلاحظ من الشاعر اضطرار إلى استعمال بعض الألفاظ لمعان لم توضع بصورة دقيقة لها مما يربك القارئ ، ويلجأ الشاعر إلى تذييل قصائده بهوامش تشرح مقصوده الخاص من استعمال بعض الألفاظ ولا نعني بهذا أن اللغة عند مفدي غير موحية ، وبالتالي غير شاعرية فتمت فرق واضح بين استعمال اللفظة بإيحاءات جديدة بيتها فيها الشاعر وبين استعمالها لتأدية معان لم توضع لها بصورة دقيقة ، أو لتأدية معناها الدلالي ولكن بصورة ناقصة أو مشبوهة ، فإيحاء لا يجوز على معنى اللفظة الدلالي ولا يجردنا منه ، بل يحققه مضيئا إليه معان لا تحملها دلاليا ، بل سباقيا بينما توظيف اللغة غير الدقيق يعني استخدامها في سياقات لا تفنى فيها حتى بمعناها المعجمي ، فصلا عن حملها الشحنات إيحاءية أخرى .

ولعل السبب في دقة اللغة عند مفدي يعود إلى سعة المعجم اللغوي عنده ، بحيث يجد فيه اللفظ المعبر لكل ما يريد أ يتناوله بالحديث من تجارب وأفكار ، لأن أي شاعر لا يستعمل لفظا لغير

1 : اليزابيت درو ، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ص 43.

2 : المرجع، نفسه، ص49.

معناه الدقيق إلا عندما يعوزه اللفظ الدقيق أي عندما يكون مصابا بفقر لغوي وهو ما لا نجده عند مفدي ، ومن الصعوبة بمكان أن نأتي بمثله من شعره لتوضيح ما نذهب إليه فكل شعره يصح شاهدا على هذه الظاهرة ، بينما عكسها (استعمال الألفاظ بدون دقة) وهو الذي يسهل الاستشهاد له وتقديم الأمثلة حوله لو أننا وجدناه في شعر مفدي ، لكن الحقيقة أننا لم نعثر على أي كلمة يمكن اتخاذها نموذجا لهذا النوع من التوظيف اللغوي .

ب. الجرس الموسيقي :

من أهم مميزات اللفظة عند مفدي أنها ذات جرس موسيقي يتناسب و المضمون الذي تعبر عنه القصيدة ، وظاهرة الجرس وأن كانت ظاهرة أسلوبية في مظهرها العام ، لأنها تتحقق عن طريق التراكيب لا عن طريق الألفاظ فحسب إلا أن للفظّة المجردة دورا فيها بما تحمله -أي اللفظة- من جرس وصفات صوتية عن طريق حروفها وصيغتها الصرفية فالألفاظ في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروف وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك ، وأما الرقيق منها فإنه يستعمل في وصف الأشواق وذكر أيام البعاد وفي استجلاب الموداتوملاينات الاستعطاف¹.

ج. القوة والفخامة :

إذا كانت اللفظة عند مفدي تحمل جرسا قويا مجلجلا من الناحية الصوتية فإن هذه الصفة نفسها تصدق عليها من ناحية المعنى فالألفاظ بصورة عامة فخمة قوية ، لا تحمل إلا معاني القوة والحدة من جميع وجوهها ، من صلابة وثبات وشجاعة وبطولة في الألفاظ التي تتناول الثوار :

1 : ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج1 ص 240.

مضت كالشهب وانحدرت شظايا *** تلهب في دجنتها التهابا¹

وثبنا كالكواسير واتخذنا *** إلى استقلالنا الأرواح طرقا²

ومن وحشية وفضاظة في التي تتناول المستعمر وأعوانه :

وفي الجزائر للتقتيل مدرسة *** تعلم الفتك بالشعب الشياطينا

وفي الجزائر للتمثيل محكمة *** فيها الفظائع سموها قوانينا³

ومن تضامن وتآزر في الألفاظ التي تتناول الشعوب العربية في موقفها من الثورة :

أما تنهد بالجزائر موجع *** أسى الشأم جراحة وتوجعا

وارتج في الخضراء شعب ماج *** تسنه أرزاه أن يفزعا⁴

ومن صلابة وصعوده في التي تتناول طبيعة الجزائر الرافضة:

أرض الجزائر والسماء تحالفا *** فأحفظ حلفها النجيع الأحمر⁵

ومن فعالية وسطوة في الألفاظ التي تتحدث عن السلاح:

وتكلم الرشاش جل جلاله *** فاهتز الدنيا وضج النير

ونزلت آياته لهابه *** لواحة أصغى لها المستعمر⁶

1 : مفدي زكريا، المصدر السابق، ص 31.

2 : المصدر نفسه، ص 122.

3 : المصدر نفسه، ص 150

4 : المصدر نفسه، ص 61.

5 : المصدر نفسه، ص 134.

6 : المصدر نفسه.

وهكذا تبين لنا أن معاني الألفاظ عند مفدي زكريا قوية فخمة وجرسها صاحب مجلج ياسر الاستماع ، ولا مكان للرفع واللبونة والضعف ، ولعل من الضرورة أن تكون كذلك شعر ثورة قامت على السلاح والقراء والدماء بعد ان أخفقت جميع الوسائل السلمية .

3. المستوي التركيبي:

أ. الأسلوب عند مفدي زكريا

دراسة الأسلوب تقوم أساسا على ما للفظه من مميزات خاصة عند الشاعر وعلى النظر إلى التراكيب والجمل في بناءها.

لكن دراسة الأسلوب لا تولي اهتماما لكل الجوانب اللغوية عند الشاعر ، بل لما هو خاص به فحسب ، ويحمل شيئا من شخصيته باعتباره شاعرا معينا بذاته مختلف عن جميع الشعراء ، فالأسلوب هنا بمعنى نبرة الصوت ، لا يتماثل فيها اثنان .

يذهب "ريتشارد دالي" أن " الطريقة التي يستعمل فيها الشاعر الألفاظ هي سر الشاعر نفسه ولا يستطيع تعلمها ، فالشاعر يستطيع أن يستعمل الألفاظ استعمالا ناجحا ولكنه لا يدري كيف تتم هذه العملية "1.

إن ما يعنيه "ريتشارد" بطريقة الشاعر استعمال الألفاظ هو جوهر الأسلوب قد يكون حديثنا عن أسلوب مفدي تجميعا أو تلخيصا لما توصلنا إليه من نتائج في الفصول المتقدمة لأن الأسلوب جمع فنيات الشاعر وطريقته في النظم "دراسة المبدعين هو النقد الأدبي بالمعنى الصحيح ولو وضعت كلمة أسلوب بدلا من كلمتي النقد الأدبي "2.

لذلك سنحاول أن ننظر إلى أسلوب مفدي نظرة شمولية لا تعني بالتفاصيل التي تقدم كل منها في موضوعه الخاص منطلقين من زاوية الاهتمام ، لما هو من سمات الشاعر الخاصة

1 : ريتشارد ، العلم والشعر، ص 31.

2 : علي جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي، ص 193.

والبارزة في شعره أي مما يكون طابعا خاصا يميز شعر مفدي عن غيره فما هي سمات أسلوبه ؟

ب. القوة والجزالة :

إذا كنا قد تعرضنا إلى قوة الألفاظ صوتيا ومعنويا ، ما نعنيه الآن بالإضافة إلى ما تقدم هو قوة الكلام أي قوة التراكيب بناء الجملة ، فبناء الكلام عند مفدي محكم متماسك ، وفي جملة ترابط وتلاحم بين الألفاظ يتجلى ذلك في قصر الجملة عنده بصفة عامة ، بحيث تقدم مضمونها واضحا ، لأن إطالة الجملة كثيرا ما يؤدي إلى بلبلة وارتباك في ربط أفكارها وفق علاقاتها النحوية ، وهذا الجهد النحوي الذي يقوم به القارئ يؤدي بدوره إلى نوع من الارتباك لفهم الكلام وبالتالي يجعل الأسلوب غير جزل ، وقد نجد في تعريف أبي هلال العسكري للجزالة مما يوضح ما نحن يصده إذ يقول : " أما الجزل هو المختار للكلام فهو الذي تعرفه العامة ولا تستعمله في محاوراتها"¹.

ففهم العامة للكلام الجزل ناتج عن وضوحه وعدم استطاعتها استعماله ناتج عن عمقه ونتأمل هذه المقطوعة يثبت ما ذهبنا إليه من جزالة الألفاظ وقصر الجمل ووضوحها النحوي والمعنوي وعمقها المضموني :

اضطرب يا بحر واخفق يا فظا *** واحتدم بأحطب وانزل يا قضاء

وارجفي يا أرض أو لا ترجفي *** أنا في المحنة لا أدري البكاء

واخسفي يا درا أو لا تخسفي *** أنا من علمه المجد ألبنا²

ج. الأصالة:

من مظاهر الأسلوب عند مفدي زكريا أصالة و تغلغل الروح العربية فيه ، فهو أسلوب عربي قح لا أثر فيه لثقافة أجنبية ما وما اللهجات العربية العامة ، فالألفاظ فيه عربية والتراكيب كذلك كل

1 : عبد العزيز عتيق، فن النقد الأدبي، ص 152.

2: مفدي زكريا، المصدر السابق، ص ص 166 - 167 .

ما نجد في هذا المجال هو ألفاظ نادرة جدا من العامية ، لا يمكن بأي حال أن تطعن فيما ذهبنا إليه من عربية أسلوبه، ووجودها في شعره لا يتعدى كونها ألفاظا يضعها الشاعر بين قوسين معلقا عليها في الهامش ومسيرا إلى أصلها الدارج.

العربية الفصحى لا تعدم مقابلها ، وإنما لواقعيتها واقتربها من الجماهير التي يرغب مفدي دائما أن يعكس نفسيته وشعورها في شعره خاصة من جماهير الثورة وحاملي لواءها من الأوساط الشعبية ولعل تعلق الشاعر بجماهير الثورة والرغبة في أعماقها والتعبير عنها بواقعية يبدو أوضح في أقدامه على وضع نشيد كامل باللهجة العربية العامية ، وهو نشيد جيش التحرير الوطني لكن مفدي وإن فعل ذلك فإن عربيته القحة كانت له بالمرصاد ، فلم يرتح كل الارتياح بالتعبير بالعامية بدل الفصحى ، ولذلك صدر نشيده بالتعليق التالي : "نظمه الشاعر بسجن البرواقية بلغة شعبية جزائرية قريبة من الفصحى"¹ .

ولا نجد أي أثر آخر للشاعر بالعامية غير النشيد جيش التحرير وإن كان قد ذكر له ديوان "الزحف المقدس" باللهجة العامية على غرار اللهب المقدس بالفصحى ولكن يبدو ذلك مجرد أمنية لم يحققها الشاعر لسبب ما ، وقد يكون موقفه من تمجيد الفصحى إلى حد التقديس دافعا لا شعوريا .

لا يقتصر تحري الأسلوب العربي الأصيل عند مفدي على ابتعاده عن الألفاظ العامية والأجنبية فحسب ، بل يتجاوزها إلى ابتعاده حتى عن العبارات العربية الفصيحة في لغتها .

وقد أصاب كامل الشناوي عندما ذهب إلى : " أن أسلوبه مثل ثورته من إرادته عربي صميم وهو بزعم استسلامه للطريقة التقليدية في الوزن والقافية لم يستسلم في نبضة تفكيره إلا لقب صاحبه وعقله"² .

وليست عربية مفدي الأسلوبية مقتصرة على لغته فحسب بل تشمل جانب الفكر والمضمون في شعره ، وهو جزء من الأسلوب و لعل أحسن مثال على ذلك ظاهرة الرموز التراثية في شعره.

1 : مفدي زكرياء،المصدر السابق،ص 79.

2 : كامل الشناوي، جريدة الصباح التونسية، العدد 3056، الصادر بتاريخ 1962/6/7 ،تونس.

وهكذا يتجلى أسلوب مفدي جزلاً فخماً عربياً صميماً في ألفاظه وفي روحه يميل إلى التدقيق ورسم الجزئيات وفي تركيزه على الأسماء والأعلام وتحديد المسميات بأسمائها الخاصة، ولعل كل ذلك يتدخل بطريقة غير مباشرة في بلورة أفكار الشاعر وواقعيتها وتقديمها إلى القارئ أو السامع في صورة مغرية تدعو إلى تقبلها والتفاعل معها .

"فطبيعة اللغة التي يتكلمها المرء ومدى براعتها فيها لها أهمية كبرى في تحديد القيمة الجمالية لنتائجه ، فمهما كانت القوة ملاحظاته وعمق تفكيره وإحساسه ، من أن يسن هذه الأشياء جميعها الأسلوب الرديء وأن يزيد من تأثيرها الأسلوب الجيد"¹.

إن أكبر النقاد يربطون بين الأسلوب الأدبي وبين شخصية صاحبه في مجالات الحياة فإذا جازلنا أن نستتق رأي جواد الطاهر في " أن كل كاتب يذيع بالطريقة التي يستعمل بها اللغة شيئاً من روحه وعاداته وقابلياته وميوله....والكتابة المبدعة أيضاً من خلال الإلهام ، إنها النفس تنفذ إلى الخارج ولا يستطيع كاتب مبدع أن يبقى متخفياً"².

فإننا نجد أن لا خلاف بين النتائج التي انتهينا إليها فيما يخص أسلوب مفدي وبين الملامح التي رأيناها في نبذة من حياته و بين أفكاره ومبادئه التي آمن بها وسخر لها شعره ، تلك التي اتضحت في باب المضامين.

1 : سانتيانا جورج ، الاحساس بالجمال ، ص 191.

2 : على جواد الطاهر ، مقدمة في النقد الأدبي، ص 311.

الفصل الثالث:

دراسة بعض النماذج الشعرية

للموقف على مواطن السرد

القصصي من خلال ديوان

"اللهمب المقدّس"

أهدى الشاعر ديوانه "اللهب المقدس" إلى الدقيقة الأولى من فاتح نوفمبر 1954 إلى أول أصبع جزائرية حرّكها الأزل وحفظ بها القدر الضاغط على زناد البعث لتنتطلق القذيفة المسحورة الأولى فتُسعر اللهب المقدس في دروب بلاده.

قسّم مفدي زكريا الديوان إلى خمسة فصول:

الفصل الأول "من أعماق بربروس": وهو أكثر فصول الديوان عناية بالثورة الجزائرية وأحداثها ويكاد يكون هذا المعنى بعنوان "اللهب المقدس"، و بربروس هو السجن الكبير الذي أعدّه المستعمرون للوطنيين من أبناء البلاد، تُتخذ فيه أحكام السجن والإعدام.

الفصل الثاني "تسابيح الخلود": وقد خصّصه الشاعر للأناشيد الوطنية التي صاغها بمناسبة حركة التحرير ومن أهم أناشيده "النشيد الرسمي للثورة الجزائرية قسماً" الذي نظمه بسجن بربروس بتاريخ 25 أبريل 1955.

والذي يتبيّن من خلال الأناشيد التي ضمّنها المؤلف هذا الفصل أنه كان يتابع أحداث ثورة التحرير بوجوده وقلمه وأنه قدم للثورة من وراء القضبان خلاصة فنه وفكره ليؤدّي دوره في إلهاب المشاعر وشحن العزائم والصمود في المعركة حتى النصر وقد استعمل الشاعر في هذه الأناشيد التعبير المباشر ولجوءه الأسلوب الحماسي الخطابي واستخدامه للألفاظ ذات الجرس الخاص التي تلائم الإنشاد الجماعي.

الفصل الثالث "تار و نور": وقد تضمن مجموعة قصائد منوعة تدور حول الكفاح الشعبي الجزائري أثناء المعركة، ومن أجود القصائد التي جاءت في هذا الفصل قصيدة "أنا تائر".

الفصل الرابع "تنبؤات شاعر": يحوي ثلاث قصائد فقط أولها "من يشتري الخلد إنّ الله بئاعه" وقد ألّفها الشاعر بمناسبة تدشين "دار ابن باديس" للطلبة الجزائريين التابعين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقسنطينة في 25 أكتوبر 1953 أي قبل اندلاع "اللهب المقدس" بما يقارب عام.

الفصل الخامس "من وحي الشرق": وقد بدأه الشاعر بقصيدة ألقاها في مهرجان الشعر العربي الثالث الذي أقامه المجلي الأعلى للفنون والآداب في 23 سبتمبر 1961 بعنوان "رسالة الشعر في الدنيا مقدّسة" وختم فصله بقصيدة مُطوّلة بعنوان "فلسطين على الصليب" وهي حوار بين الشاعر وفلسطين والعرب.

تطرقنا إلى دراسة قصيدة "الذبيح الصاعد" والتي استهل بها الشاعر ديوانه، وقد قالها بمناسبة تنفيذ حكم الإعدام في أول شهيد دشّن المقصلة بساحة سجن بربروس-أحمد زبانة - وذلك في الهزج الأخير من ليل 18 يوليو 1955.

بحيث بدأ الشاعر بتصوير الشهيد وهو يصعد درجات المقصلة موظفاً ذلك بأسلوب قصصي واضح ويتجلى ذلك في الأبيات التالية:¹

قام يختال كالْمسيح وئيدا *** ينهادى نشوان يتلو النشيدا

باسم الثغر كالملائك، أو كالمط *** فل، يستقبل الصباح الجديداً

شامخاً أنفه، جلالاً وتيها *** رافعا رأسه، يناجي الخلوداً

رافعا في خلخل، زغردت تم *** لأ من لحنها الفضاء البعيداً

حالماً، كالكلب، كلمه المجد *** د، فشهد الحبال يبغى الصعوداً

فمن حيث الوظيفة الدلالية للصورة نرى أنها تحققت بشكل واضح فقد رسمت الصورة منظراً للمحكوم عليه، وتابعة من سيرة حتى بلغ المقصلة وكانت في ذلك -عدسة الكاميرا في يد مصور دقيق الملاحظة شديد الانتباه- تلتقط مناظر من جوانب مختلفة .

فالشهيد-أحمد زبانة -يسير باتكاء وهدوء كأنه المسيح في طريقه إلى الصليب، لأنه مثل المسيح يعرف جيداً نهاية رحلته حياته ومطمئن إلى مصيره وما يلقي في سبيله من العذاب، وهو مستهين

1: مفدي زكريا، اللهب المقدس، موفم للنشر والتوزيع -الجزائر 2000م ص ص 9-10

بكل ذلك في سبيل رسالته ،وإن كان من حوله ممن حاول صلبه وقتله لا يفقه من ذلك شيئا أنه يتهادى في مشيته والنشوة تظله، وعلى شفثيه تمتمة النشيد(نشيد الشهداء)وعلى ثغره ترسم بابتسامة الملاك أو الطفل وهو يستقبل الصباح الجديد ،إنه شامخ أنفه جلالاتها،لأنه يدرك جيدا قيمة موته وحقارة جلاديه أنه يرفع رأسه نحو السماء ليناجي فيما الخلود الذي ينتظره ليضمه إليه بعد لحظات، وإن الأغلال في رجليه ليست حديدا يصدر صوتا تنفر منه الأذان بل هي خلاخل أطلقت زغاريد ملأت ألقانها الفضااء.

وهكذا صور فمدي أحمد زبانة وهو يتقدم نحو المقصلة بأسلوب سردي رائع ،وهذه الصورة تركيبية جزئية عديدة تآزرت لتكون صورة واحدة متناسقة الظلال وألفاظها موحية لم تقتصر على رسم الملامح فحسب وإنما امتلكت إشعاعا أظاء جوانب الصورة وعمق أبعادها الكثيرة.

ويعني الشاعر بتسجيل الكلمات الأخيرة للبطل الشهيد الذي يوجه الحديث فيها إلى جلاديه وإلى الموت ويعبر فيها عن عقيدته التي لا تتزعزع في أن استشهاده حياة لبلاده ويتجلى ذلك في قوله:¹

أشفقوني،فلمست أخشى حبالا***واصلبوني فلمست أخشى حديدا

وامتثل سافرا محياك جلادي***ولا تلتئم ، فلمست حقوقا

واقض يا موت في ما أنت قاض***أنا راض إن عاش شعبي سعيدا

أنا إن مت فالجزائر تحيا***حرة مستقلة ، لن تبيدا

فالشهيد يتنازل بوضوح عن حياته ويرضى بالموت فموته يعني حياة الجزائر، ويتضح اهتمام الشاعر لإبراز الحق والعدل في معركة التحرير فينتساءل:²

أمن العدل ، صاحب الدار يشقى***ودخيل بها يعيش سعيدا؟

أمن العدل ، صاحب الدار يعري***وغريب يحتل قصرا مشيدا؟

1 :مفدي زكريا ،المصدر السابق،ص10

2 :مفدي زكريا ،المصدر السابق،ص16.

ويجوع ابنها ، فيعدم قوتاً *** وينال الدخيل عيشاً رغيداً؟

ويتخيل الشاعر رسول السماء-جبريل- وهو يحمل أحمد زبانة بعد استشهاده كأنه الطائر المحلق إلى عنان الفلك في قوله:¹

لفه جبرائيل تحت جناحيه *** إلى المنتهى رضيا شهيدا

والثورة المسلحة في الجزائر لم تتدلع إلا بعد أن أثبتت الحلول السياسية والوسائل السلمية إخفاقها في تحقيق الاستقلال ، وإن العنصر القصصي هو الأنسب لتقرير الحقائق وسرد التاريخ وذلك في قوله:²

يا فرنسا كفى خداعاً فإننا *** يا فرنسا لقد مللنا الوعودا

صرخ الشعب منذراً فتصا *** ممت وأبديت جفوة وصدودا

سكت الناطقون وانطلق الرشد *** اش، يلقي قولاً مفيداً:

"نحن ثرنا فلات حين رجوع *** أو ننال استقلالنا المنشود"

وما دامت الوسائل السلمية غير مجدية وما دامت الثورة المسلحة لا تتم إلا بضحايا التي تقدمها ثمنا لتحقيق هدفنا، فإن تقديم الضحايا سيكون ضرورة لا مفر منها لإنجاح الثورة وتحقيق الاستقلال وبالتالي تصبح الضحايا ثمنا لا بد من دفعه لنيل الحرية المرجوة وذلك في البيتين التاليين:³

فمضى الشعب بالجمام بيني *** أمة حرة وعزا وطيدا

1: المصدر نفسه، ص 11

2: المصدر نفسه، ص 17

3: مفدي زكريا، المصدر السابق، ص 15

من دماء زكية،صبها الأحرار *** في مصرف البقاء رصيذا

وفي نهاية القصيدة يعود الشاعر إلى ذكر الشهيد-زبانة- فيخاطبه ورفاقه مؤكدا لهم أن استشهادهم قد جعل المجاهدين أقوى عزما وأكثر إصرارا على بلوغ الغاية وأنهم يعاهدونهم على الجهاد حتى النصر ويختم قصيدته هكذا:¹

"يا زبانا" ويارفاق "زبانا" *** عثتم كالوجود ظهرا مديدا

كل من في البلاد أضحى "زبانا" *** وتمنى أن يموت شهيدا!

أنتم يا رفاق ، قران شعب *** كنتم البعث فيه والتجديدا!

فاقبلوها ابتهالة، صنع الرشد *** اش أوزانها،فصارت قصيدا!

واستريحوا إلى جوار كريم *** واطمئنوا، فإننا لن نحيدا!

وكان الحديث عن استشهاد أحمد زبانا بمثابة المدخل إلى الحديث عن كفاح الشعب بأسره، وقد وفق الشاعر كل التوفيق في توظيف أدواته الفنية التي تضافرت جميعها على تفجير الإحساس من موقف في نفس المتلقي، لهذا استغل مفدي كل ما في الألفاظ والكلمات من طاقة إيحائية نغما وصورة ومعنى فقدم بين أعيننا هذه اللوحة الخالدة التي تعد من أصدق اللوحات المجسدة لعظمة الثورة التحريرية الجزائرية.

وقصيدته التالية في الديوان "زنانة العذاب رقم 73" لها بدورها قصته، فقد زج بالشاعر في زنارته مظلمة بسجن بربروس يوم 28 أبريل 1955 فهاجت في أعماقه المواقد وانطلق ينشد في ظلام الزنانة:²

1: المصدر نفسه، ص 19.

2: مفدي زكريا ، المصدر السابق،ص ص 20، 21.

سيان عندي مفتوح ومنغلق *** يا سجن ،بابك،أم شددت به الحلق

أم السياط ، بها الجلاذ يلهيني ***أم خازن النار، يكويني فاصطفق

والحوض حوض ،وإن شتى منابعه *** ألقى إلى القعر ،أم أسقى فأنشرق

سري عظيم، فلا التعذيب يسمح لي ***نطقا، ورب ضعاف دون ذا نطقوا

والبيت الأول من الممكن أن يرمز إلى معنى كبير لا ندري هل استهدفه الشاعر أم لم يهدف إليه ذلك أن الجزائر كلها في ذلك الوقت سنة 1955 كانت في قبضة الاستعمار بمثابة السجن الكبير فيسوي عند الوطني الأبى إن يغلق عليه باب السجن الصغير أم يخرج منه إلى السجن الكبير.

والأبيات التي جاءت بعد ذلك تصور جوانب متعددة من التعذيب الوحشي الذي كان يتعرض له الأحرار في السجون ومع ذلك فلم يصبهم وهن ولا ضعف ولم يستطع الجلادون أن ينتزعوا منهم أسرار المعركة ، كما رأينا فقد جسدها بأسلوب قصصي لا يخلوا من الروعة .

ويعود إلى مخاطبة السجن ثانية ، فيقول :¹

يا سجن، ما أنت؟ لأخشاك، تعرفني *** من يحرق البحر، لا يحرق به الغرق

إني بلوتك في ضيق، وفي سعة ***وذقت كأسك، لا حقد ولا خنق

أنام ملئ عيوني، غبطة ورضى ***على صياصيها لا هم و لا قلق

1 :مفدي زكريا،المصدر السابق، ص 21.

وهذه الأبيات تدل بوضوح على مدى وفاء الشاعر وتمكنه بتقاليد الشعر العربي القديم ويشترك مفدي مع كثير من شعراء المقاومة السجنا في مخاطبتهم من وراء الأصفاد ، أطياف زوجاتهم وأبنائهم وبناتهم المعنيين عن عيونهم فينادي مفدي زوجته من سجن بربروس الرهيب إذ تأتي أبياته على شكل قص كما يلي :¹

سلوى! أناديك سلوى! مثلهم خطأ*** لو أنهم أنصفوا، كان اسمك الرمح

يا فتنة الروح، هلا تذكرين فتى*** ما ضره السجن ، إلا أنه ومق؟

هل تذكرين ، إذا ما الحظ حالفنا*** إليك أهتف يا سلوى، فتنفق؟

أم تذكرين، ولحن الموج يطربنا*** إذ نفرش الرمل في الشاطئ ونعتق

الموج ينقل في أصدائه قبلا*** بندى لها الصخر ، حق كاد ينفلق!

نسابق الشمس، نغزوها بزورقنا*** فيسخر الموج منا كيف تلتحق

وتغرب الشمس ، تطوي في ملاءتها*** سرين، أشفق أن يفشهما الشفق

وكما سهرنا، وعين النجم تحرسنا*** إذ نلتقي كالرؤى، حيناً، ونفترق

ويمتزج الحب بالثورة في شعر مفدي زكريا ، شأنه في ذلك شأن الشعراء المناضلين ، ولا عجب

أن يكون شعراء المقاومة من أعظم شعراء الحب في كل زمان ومكان ، وهكذا يتغنى شاعرنا

بجمال سلوى وما يكنه لها من حب عفيف يمثل ما بينهما من مودة ورحمة :²

سلوى! أناديك سلوى! هل تجاوبني*** سلوى؟؟ فإن لسانها ذلق

1 :المصدر نفسه،ص22.

2 :مفدي زكريا،المصدر السابق،ص25.

ردي علي أهازيجي موقعة *** فقد أعارك وزنا ، قلبي الخفق

ورتلها، تسابيحاً مقدسة *** في معبد الحب ، يسجد عندها الأفق

واستأذني، في رسالات الهوى قمرا *** يرنو إليه كلانا، حين يتسق

إني رأيت أخاك البدر ذا ثقة *** جلت أياديهِ في دنيا الألى عشقوا

ثم ينتقل ليصور حبه لوطنه النائر بعد أن صور عاطفته نحو زوجته مازجا بين الشعورين في وحدة واحدة ومؤلفا بين جمال الحبيبة وجمال بلاده في قوله:¹

بنت الجزائر.....أهوى فيك طلعتها *** فكل ما فيك من أوصافها خلق

أحبه، مثل حب الله، أعبدها *** آمنت بالله، لا كفر، ولا نزق

أرض الجزائر في إفريقيا، قدس *** رحابها، من رحاب الخلد، إن صدقوا

ويشيد بالبطولات والتضحيات الجسيمة التي قدمها الثوار ، واثقا أن البقاء لهم والموت للمستعمرين وإن طال المدى فحياة الشعب تعادل حياة الحق والعدل والكرامة وقد تجلى ذلك في قالب سردي قصصي أحسن ما يكون إلى قلب القارئ ، وذلك في قوله :²

وفتية هرعوا للشرق بعضهم *** إن يصعقوا ، كأن الكون ينصعق

والشعب ، يسبح للعليا على دمه *** وللتبرع بالأرواح يستبق

لم يثنه دون إدراك المنى رهق *** وإن هم ، أحرقوا بالنار أو شنقوا

1 :المصدر نفسه،26.

2 : المصدر نفسه ، ص27.

ثم نجد في قصيدته "وقال الله" التي نظمها مفدي زكريا بسجن البرواقية ، مخلدا الذكرى الثالثة للثورة الجزائرية ، وألقيت بالنيابة عنه في مهرجان الذكرى الذي أقيم في تونس غرة نوفمبر 1957 بحيث استهل الشاعر قصيدته بالأبيات التالية :¹

دعا التاريخ لبيك فاستجابا *** (نمبر) هل وفيت لنا النصابا ؟

وهل سمع المجيب نداء شعب *** فكانت ليلة القدر الجوابا؟

تبارك ليلك، الميمون نجما *** وجل جلاله، هتك الحجابا !

زكت وثباته عن ألف شهر *** قضاها الشعب، يلتحق السرابا

ونجد الشاعر في موضع آخر يذكر بثورة التحرير التي هزت روح الشعب الجزائري رجالا ونساء، فهبوا للكفاح تشهد على ذلك جبال الشلوع وجبال جرجرة وذرى ووهران وتلمسان وذلك في الأبيات الموالية :²

وهزت ثورة التحرير شعبا *** فهب الشعب ينصب انصابا

تنزل روحها ، من كل أمر *** بأحرار التحرير ، قد أهابا

وبرزت الكواعب ، قاصرات *** فرحن يخضعن للموت العبابا

وللع ، من (شلوع) ذوبيان *** فانطلق فوق (جرجرة) الجعابا

وشبت من ذرى (وهران) نار *** رأها (برج مدين) فاستجابا

1 : مفدي زكريا،المصدر السابق، ص 30.

2 : المصدر نفسه، صص31، 32.

ويتألق مفدي زكريا حتى يبلغ ذروة شعرية سامقة وهو ينتقل من تصوير الثورة إلى وصف الطبيعة الصحراوية وسحرها في لوحات فنية باهرة ، وحين يصف النخيل وعراجينه التي تحمل التمر يضمن أبياته العبارات المستقاة من القرآن الكريم في سيرة السيدة مريم العذراء ، وتشهد الأبيات التالية استيعاب الشاعر لمظاهر الواحات الجنوبية في الجزائر وتقاليد أهلها .¹

وفي صحرائنا جنان عدن *** بها تتساب ثورتنا انسيابا

وفي صحرائنا الكبرى، كنوز *** نطارد عن مواقعها الغرابا

وفي صحرائنا تبر، وتمر *** كلا النهبين : راق بها وطابا

وفي قوله :

في صحرائنا أدب وعلم *** زكا بهما المثقف ، واستطابا

وفي واحاتنا ظل ظليل *** تفور به ، نواعرها حبابا

إلى أن يقول:

وهزت مريم العذراء نخيلا *** فأسقطت الفلودج و الترضابا

عراجن ، كالمجرة مشرقات *** عسالجها ،انسكبن بها انسكابا

ويتفوق مفدي على نفسه في وصف الراعي الشادي على مزماره بأبيات مناسبة كأنها كتبت نفسها بنفسها ، وهي تتسم بالجزالة وبراعة التصوير ، فهو يصف راعي الأغنام النافخ في نايه بقوله :²

يدغدغ تحتها الغنام نايا *** فينطلق من فم الغم الربابا

1 :مفدي زكريا،المصدر السابق، صص 33 ، 37.

2 : مفدي زكريا،المصدر السابق، ص 37.

يدلي في الغدير الحلو ساقا *** وبالكفيف ، يعترف الشرابا

ويستلقي بحافته ، يناجي *** إله العرش ، يسأله متابا

قرير العين في القلوات، أضحى *** يعاف الناس ، مد ألف الذئابا

فما يدري بجنته ، نفاقا *** ولا كذبا ، ولا خان الصحابا

ويخلص مفدي زكريا من تصوير الراعي إلى الفخر ببلاده وثورتها التحريرية متجليا ذلك في البيتين:¹

ونحن العادلون ، إذا حكمنا *** سلوا التاريخ عنا والكتابا

ونحن الصادقون ، إذا نطقنا *** ألفنا الصدق، طبعاً لا اكتسابا

ويختم الشاعر قصيدته برفضه المطلق لمشاركته الوطن و الأرض مالكا آخر وأنه والشعب الجزائري باعتباره واحدا منهم المالكين الأصليين والوحيدين لوطنهم ، وفي قوله:²

فلا نرضى ، مساومة ، وغبنا *** ولا نرضى،سلطتنا اقتضابا

ولن نرضى ، شريكا في حمانا *** ولو قسمت لنا الدنيا منابا...!

وفي.

قصيدة "وتعطلت لغة الكلام" التي نظمت في سجن بربروس في فيفري 1957 بمناسبة خذلان المنطقة الدولية لقضية الجزائر في دورتها الثالثة عشر .

استهل الشاعر قصيدته بهذا المطلع:¹

1 : المصدر نفسه، ص 38.

2 : المصدر نفسه، ص 41.

نطق الرصاص ، فما يباح كلام *** وجرى القصاص فما يتاح ملام

ويتغنى شاعرنا في أبيات أخرى بانتماء الجزائر إلى الإسلام والعروبة ، والتي برايتها تصدت كتائب جيش التحرير للمستعمر ، مستعملة مبادئها وأهدافها وسلوكها من الأصول الإسلامية ، وروح الشريعة جاعلة من الجهاد في سبيل إعادة البلاد إلى نهج العروبة والإسلام مبدأ مقدسا ، آمن به رجالها إيمانا لا يتزعزع في قوله :²

يا أمة العرب الكرام كرامة *** لك في الجزائر حرمة وذمام

في كل أرض للعروبة ، عندنا *** رحم تشابك ، عندها الأرحام

عز العروبة، في الحمى استقلالنا *** أظير (مقصود الجناح) حمام ؟

فالعروبة عند الشاعر هي الشجرة الأم والجزائر الشام ومصر والمغرب وسائر البلاد العربية هي أغصانها المتعانقة بحكم وحدة التاريخ والمصير والنضال المشترك ضد الاستعمار، ويتضح اشتراك البلاد العربية فيما أشرنا إليه في الأبيات التالية :³

إن صاح في أرض الجزائر صائح *** لبتة مصر وأدركته شام

في المغرب العربي، عرق نابض *** يذكيه في حرب الخلاص ضرام

كما يستمد مفدي زكريا مفرداته من الآيات القرآنية التي يصف الله سبحانه وتعالى فيها أهوال يوم القيامة ، باعتبار القرآن الكريم يحتوي على العنصر القصصي بكثرة ، وقد وظف الشاعر هذا الأخير في شعره ، ويتضح ذلك جليا في الأبيات التالية :⁴

1 : مفدي زكريا المصدر السابق، ص 42.

2 : المصدر نفسه، ص 51.

3 : المصدر نفسه، ص 51.

4 : مفدي زكريا المصدر السابق ، ص ص 42 . 45.

نطق الرصاص ، فما يباح كلام *** وجرى القصاص ، فما يتاح ملام

وقضالزمان، فلا مرد لحكمه *** وجرى القضاء، وتمت الأحكام

وسعت فرنسا للقيامة، وانطوى *** يومالنشور، وجفت الأقلام

ما للقيامة في الجزائر أردعت *** فغدا لها في الخافقين غمام

والشعب شق إلى الخلود طريقه *** فوق الجماجم والخميس لهام

لا النار لا التقتيل يثني عزمه *** لا السجن لا التتكيل لا الإعدام

لا الداريات الماحقات هوا طلا *** لا الشامخات تدركها الألغام

القاصرات الغافلات كواعبنا *** ديست قداستها وفض ختام

نجد هذا الحشد الهائل من المفردات القرآنية التي تطبع الجملة الشعرية بطابع القوة في قالب سردي مثل: القصاص، القيامة، النشور، الخلود، النار ، التتكيل ، الداريات ، الغافلات ، الكواعب كلها تحمل دلالة تصويرية غير تلك التي نجدها في الكتاب العزيز ، فالداريات وردت في القرآن الكريم بمعنى الرياح الشديدة ولكنها في النص الشعري يراد بها الطائرات الحربية التي تنزل الموت والدمار في كل مكان ، وقد استطاع زكريا بحسه الفني المرهف أن يستغل الطاقة التصويرية من خلال الإيقاع الموسيقي الذي تحمله كلمة الداريات فيضيف بذلك إلى الجملة سحنة انفعالية قوية .

أضف على هذا قصيدة "اقرأ كتابك" والتي نظمت خلف أسوار السجن عام 1958 بمناسبة الذكرى الرابعة الثورة الجزائرية يوم الفاتح نوفمبر ، وخلد فيها الشاعر مشاعر التضامن الراسخة بين الجزائريين وإخوانهم العرب ، وبين الجزائر ومصر بوجه خاص ، ويشير الشاعر أيضا في قصيدته إلى تضامن الشام والعراق وتونس والغرب ولبنان مع كفاح الشعب الجزائري من أجل الحرية والاستقلال .

فالفكرة التي تدور حولها القصيدة هي تجاوب هذه البلدان مع الجزائر الثائرة في محنتها ضد الاستعمار وابتلائها بويلاته وكفاحها في سبيل تحررها من أغلاله التي أحكمها حولها مائة وثلاثين عاما.

وقد تمثل هذا التجاوب في مدها بالمعونة ومناصرتها، واستفاضة أبنائها غير القادرين على حمل السلاح أو الذين طردهم العدو الغاصب من ديارهم ونلمس ذلك في الأبيات التالية:¹

إما تنهد بالجزائر موجع *** أسى الشام جراحه، وتوجعا

واهتز في أرض الكناية خافق *** وأقضى في أرض العراق المضجعا

وهوت مراکش حوله ، وتأملت لب *** نان واستعد جد يس وتبعا

ويواصل قولها إلى:

يا مصر يا أخت الجزائر في الهوى *** لك في الجزائر حرمة لن تقطعا

فإيقاع الأسلحة التي تحارب بها في كل الأسماع كأنها سهيل الجياد الجامحة اضطرت نيران الوغى ، أو تردد تكبيرات المؤذنين من أعلى المساجد إذا كبر الثوار ، إذا ناحت النساء على مصرع الضحايا من أزواجهن ومن فلذات الأكباد ، أو صرخات المعذبين في السجون ، إذا ألهبت ظهورهم وجنوبهم وصدورهم سياط الطغاة المتجبرين.

ويواصل مفدي نسج عنصره القصصي في قصائده فها هي قصيدة " على عهد العروبة سوف نبقى " التي ارتجالها بين أقداح الشاي في حفل أقيم بالدار البيضاء لتكريم وفود الدول العربية التي أمّت المغرب لتهنئة الشعب والملك بعيدا الاستقلال في 1955 ، فيذكر بأنهم وبأنهم باقون على عهد

1 : مفدي زكريا ، المصدر السابق، ص 60، 64 .

الأجداد والسابقين في سبيل تحقيق استقلالهم لا خوفا من العذاب ولا الشنق ولا السجن ولا القتل والتقتيل:¹

رسول الشرق... قل للشرق ! إنا *** على عهد العروبة ، سوف نبقي!

وإما بالجزائر ، أنكرونا *** سنحرق وصمة (الإجماع) خرفا

وثبنا كالكواسر واتخذنا *** إلى استقلالنا الأرواح طرقا

فلا نخشى العذاب ، ولا نبالي *** إذا وجب الفداء سجنا وشنقا

إذا ما الرزق ، صار حليف ذل *** مضينا نبتغي ، في الموت رزقا!

كما يرفض الجزائريون ما تزعمه فرنسا من إدماج الجزائر إليها وجعلها جزءا لا يتجزأ منها وقد ورد هذا الرفض على لسان الشاعر بقوله:²

وقد زعموا الجزائر من فرنسا *** وراموا مزجها سفها وحمقا

سيعترف الزمان غدا بأننا *** سبقنا وثبة الأقدار سبقا !

وأنا في الجزائر خير شعب *** عروبتة مدى الأجيال وثقى

وأن الوحدة الكبرى إذا ما *** تحررت الجزائر سوف تبقى !

وهو يؤكد على أن في الجزائر شعبا زاده وقوته العروبة وأنها سوف تبقى في الجزائر وبين

الجزائريين وأن هذا الفرد الجزائري يحمل بين ضلوعه قلب يضخ بالعروبة وعروقه تجري فيها

العروبة وأنه وأين ذهب يرجع بحنينه وشوقه إلى وطنه إلى وطنه العروبة -الجزائر- في قوله:¹

1 : مفدي زكريا،المصدر السابق، ص 122.

2 : المصدر نفسه، ص 123.

به قلب العروبة مستقل *** إلى وطن العروبة ذاب شوقا.

قصيدة "أنا ثائر"

نظم الشاعر هذه القصيدة أثناء فراره من السجن في طريقه إلى المغرب في أذار سنة 1959.

ونجد أبياتها مزدانة بالصدق الفني، ملتبهة العواطف، نفت في ثناياها الشاعر نفح أعماقه، كما

وجد السرد فيها حاضرا بقوة ويتجلى ذلك في الأبيات التالية:²

في الحنايا

وبسواد الليل القاتم

مالت الأكوان سكرى

ثمالات

أودعتها، مهجة الأقدار سرا

الزوايا

بين سهران ونائم

ونجوم الليل حيرى

حالمات

1 : مفدي زكريا، المصدر السابق، ص 121.

2 : المصدر نفسه، ص 124.

ضارعات، بث فيها الغيب أمرا

والملاحظ أنه لا يكاد يخلو بيت من مؤشر سردي ، الأمر الذي جعل الأبيات كلها حركية وانفعالية لأن الشاعر جعل من السرد وسيلة فنية لإيصال الفكرة إلى القارئ ، فجاءت الأبيات كأنها قصة متناسقة الأجزاء ، متناغمة العبارات فيها رونق ، وجمال عانق اللفظ الملتقى والصورة المجنحة. ومن مؤشرات السرد في هذا النص كثرة الأفعال الماضية، والمضارعة التي تفيد الاستمرارية كقول الشاعر في الأبيات التالية:¹

"ظلت يرقبن متى يطلعن فجرا "

"يملاً العالم بشرى"

"يغمر الأكوان عطرا"

" يلهم التاريخ سفرا"

كما ذكر أو بالأحرى حدد الأمكنة كقوله :²

"في الحنايا "

"في الزوايا"

"فوق أعواد المشانق"

كما ذكر مؤشر الزمن كقوله:¹

1 : مفدي زكريا ، المصدر السابق،ص125.

2 :مفدي زكريا، المصدر السابق، ص 124 .126.

"سواد الليل القاتم" (الليل)

"يبعث الليل نهارا"

"ودعا الدهر فلباه نوفمبر" (نوفمبر)

والشاعر يروي في هذا النص قصة جهاد الشعب الجزائري الذي ظلم في أرضه وعرضه وسلبت أدنى الحقوق فنار ثورة بركان لاهت وراء كل متجبر.

فهذا الوطن الجريح المعبد بالأشلاء طرقا ، الذي انتفض كالمارد كافرا بأبجديات السلم والذل ، حالما بفجر يمزق ظلمة الاستعمار .

ويقول مفدي في قصيدته " لا تعجبوا إن جاءكم برسالة " وكان سبب نظم هذه القصيدة هو

استقبال جلالة الملك "محمد الخامس" شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا إثر فراره من سجن البرواقية وانفلاته للمغرب ، وأهدى الشاعر لصاحب الجلالة مجموعة مسجلة من ملاحمه الثورية التي نظمها بسجن بربروس واستهل قصيدته بتحية شعرية ارتجالية للملك قائلا :²

قف بي ، أقدس للحياة نضالها *** فلكم وقفت ، أقدس استقلالها

وأنفخ بطلعتها فؤادا ، طالما *** في غفلة :السجان" طاف حياها

واسمع بدوحتها ، هزار صادحا ***كم دا تقياً " يوم طار ظلالها

أذكر أمير المؤمنين ، محمدا *** لما تجلاه ، أجل جلالها

1 : المصدر نفسه، ص ص 124 . 127.

²: مفدي زكريا، المصدر السابق، صص 130 ، 131.

فمعجم الثورة عند مفدي واضح ، ومن الثابت أن الجزائر قد خضعت لنير المستعمر الغربي الغاشم فكان الشاعر لزاما بحكم وطنيته الصادقة والمتدفقة أن يعبر عن موقف مجتمعه إزاء الاستعمار ويشحذ همم الجماهير والشعب للثورة مدافعين الغزاة بالنفس والنفيس .

فمفدي معبر عن هموم شعبه وانشغالاته وتطلعاته أصدق تعبير ، فالثورة تسبح في بحر من العروبة والإسلام ، وهي عنده تتجاوز نطاق الجزائر لتشمل الوطن العربي بحيث يقول د/ نشاوي عن مفدي زكريا :

"فلسفة الثورة عنده تنبع من الدين والعروبة ، وكافح دائما من أجل لغته وقوميته وإسلامه فكابد من جراء ذلك ألوانا من الآلام"¹

أما في " وتكلم الرشاش جل جلاله " التي ألقاها الشاعر في ذكرى استقلال الجزائر عام 1959 فهاهو يذكر بالثورة الجزائرية ضد المستعمر وكيف ثار الشعب الجزائري ضده هذا الغاصب وقدوته في ذلك أجداده من "عقبة بن نافع" ومن جاء بعده رافضين الذل والهوان وهذا ما نلمسه في الأبيات التالية:²

والشعب أسرع للشهادة عندما *** ناداه (عقبة) للفداء و(حيدرا)!

وتكلم الرشاش ، جل جلاله !! *** فاهتزت الدنيا ن وضج النير

وتنزلت آياته ، لهابة *** لوحاة ، أصغى لها المستهتر

والنار،للألم المبرح، بلسم *** يكوى بها العظم الكسير فيجبر

والنار في مس الجنون عزيمة *** يصلى بها المستعمر المتكبر

1 : د/ نشاوي : مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ، دمشق ، الطبعة الأولى 1980 ص 358.

2 : مفدي زكريا ، المصدر السابق، ص134.

فالشاعر يشيد بعظمة الرشاش واعتبار رصاصاته آيات تنزل وأن النار تشفي من به داء واعتبرها أيضا كالرقية التي يكوى بها جبين من به مس من الجنون.

وفي موضع آخر نجد الشاعر يعيد سرد قصة المروحة التي زعم قنصل فرنسا بالجزائر "دوفال" أن "الداي" لطمه بها واتخذتها فرنسا ذريعة لاحتلال الجزائر ويبرز هذا في البيت: ¹

أو أن مروحة تعد ذريعة *** فاليوم ، بالأرواح لا نتأخر

كما يشير الشاعر إلى أن الجزائر استعمرت بالسلاح وطبقت عليها السياسة العسكرية ، فإن الحرية لن تتحقق وأن نيل الاستقلال لن يكون إلا بالسلاح وذلك في قوله: ²

وإذا الجزائر بالسلاح استعبدت *** فمصيرها،بسلاحها، يتقرر

وفيما يخص قصيدة "أكذوبة العصر" التي نظمها مفدي إثر خذلان منظمة الأمم المتحدة للقضية الجزائرية في دورتها الرابعة عشر المنعقدة في نوفمبر 1959 ترمي هذه القصيدة إلى التنديد بالأمم المتحدة إثر موقفها المفضوح وقد تضمنت ثلاثة أفكار وهي على الترتيب :

- تنديد الشاعر بالأمم المتحدة والتي استهلهها الشاعر في مطلع قصيدته بقوله: ³

أكذوبة العصر ، أم سخرية القدر ؟ *** هدى التي أسست لصالح البشر

أم إن (لوزان) * في الأحياء قد بعثت *** بحفل نيويورك ما أفضى إلى صقر؟

- استنكاره لموقف الأمم المتحدة إزاء قضية الجزائر في قوله: ⁴

1 : المصدر نفسه، ص 139.

2 : المصدر نفسه.

3 :امفديزكريا،المصدر السابق، ص 140.

*: إشارة إلى عصابة الأمم المتحدة .

4 :المصدر نفسه، ص 141.

وما لهم نسبوا للعدل ، مجتمعا *** أمر الضعاف به في كف مقتدر ؟

سوق يباع ويشترى ، في معايرها *** حق الشعوب ، لنصاب ومحتكر !

كما خان فيها قضايا العدل ناصعة *** قوم ، يسوقهم "الدولار" كالبقر!

هذا يناصر داعي الزور ، مجتهدا *** وذاك "يمسك" في خوف وحذر

• الحرية تؤخذ ولا تعطى في قوله :¹

إفريقيا اليوم للتحرير زاحفة *** كالسيل تعصف بالطغيان والبطر

وفي الجزائر ، شعب ثار مندفا *** للمجد يسخر بالأحداث والغير

لا نرتجي العدل من قوم سماسرة *** خير البرية منهم ، غير منتظر

مصيرنا ، بالدم الغالي، نقره *** في محفل الموت لا في عقد مؤتمر...!

وتتنمي القصيدة إلى الشعر السياسي التحرري الهادف إلى تقوية النزعة الثورية للموقف في وجه

الطغاة وهذا اللون جديد في الأدب العربي وأيضا هذا الشعر يتناسب مع أسلوب السرد لأنه الأنجع

والأفضل للتعبير عن المواقف والأحداث الخاصة بالسياسة والثورة ...

وفي محطة أخرى نجد مفدي يواصل بث العنصر السردى القصصي في قصيدته التي ألقاها أو

نظمها بمناسبة المؤتمر القومي للثورة الجزائرية المنعقد في ليبيا عام 1960 التي عنونها :

"ذروا الأحلام واطرحوا الأمانى".

التي يقول فيها الشاعر أن دافعهم للجهاد هو الوعود الكاذبة التي لم يعد للصبر عليها مجال، و

الأكاذيب الملفقة التي طالما طرحها رجالات فرنسا وضاق بها الجزائريون ذرعا وذلك في البيتين:²

نزلنا للجهاد ، وقد سئمنا *** وعودا ، في الفضا طارت نجارا

1 : المصدر نفسه، ص 142.

2 : مفدي زكريا ، المصدر السابق، ص 153.

وعفنا من رجالك ، يا فرنسا *** كذابا ، لم نطق معه اصطبارا
ثم يواصل فيذكر فرنسا بما افترضته في حق المفاوضين الخمسة الذين قامت باختطافهم-في
حادثة اختطاف الطائرة مبرزا هذا في البيتين :¹

فهااتوا "الخمسة الأحرار" تلعب *** ففي الشطرنج لا تخشى العثارا

فإن سجنوا، فقرصنة وبغيا *** جنيتم منه ، في الدنيا احتقارا

كما يحاول بعث الهمة والشجاعة في نفوس الشعب الجزائري ودعوتهم إلى الكف عن الجهل
والاغترار في قوله:²

ذروا الأحلام ، واطرحوا الأمانى *** كفى يا ناس ، جهلا واغترار .

قصيدة: "إلى الذين تمردوا"

نظمت القصيدة إثر مهزلة السدود والحواجز التي أقامها المتمردون بالجزائر في 27 جانفي 1960
بحيث نلمس فيها مواطن سرديّة أفادت التوضيح وكشف حقيقة المستعمر الغاشم وذلك في قوله :³

فقدت فرنسا، رشدها وصوابها *** وغدت تسجل في الأنام ، ظلالها

فاترك فرنسا - وهي في أحلامها *** سكرى- يمزق جندها أوصالها

دعها مع الأحداث ، تحصد زرعها *** وذر الزمان ، يجعل اضمحلالها

واشهد بها الأهواء تلعب دورها *** وارقب معي ، نحو الدمار مآلها

واضحك على ديغول في جبروته *** "الأوتيز" أفلت من يديه عقالها

وافضح مع الأيام ، جمهورية *** كشف الزمان ، جنونها وخيالها

1المصدر نفسه، ص 154.

2 : المصدر نفسه .

3 : مفدي زكريا، المصدر السابق،ص157.

فنسجل هنا ملاحظة هامة كون الشاعر يشمل كلامه بالنمط الإيحائي معتمدا على "فعل الأمر" ، ثم يردفه بسرد الحقائق والأحداث وكأنه يدعو الجزائري إلى المساهمة الفعالة في كشف حقيقة فرنسا لأن السماء باشرت حقيق تطبيق عدلها على فرنسا المتجبرة وذلك في قوله:¹

دعها مع الأحداث ، تحصد زرعها *** وذر الزمان ، يجعل اضمحلالها
 وأشهد بها الأهواء تلعب دورها *** وارقب معي ، نحو الدمار مآلها
 ففي كل مرة يوظف السرد كأنه يريد - كما قلنا سلفا - للجزائر أن يضع بصمته على مجرى الأحداث.

والأبيات في مجملها تهكم على عصابة من أشباه النساء تمردوا على الحكومة الفرنسية مستخدمين دروع بشرية من النساء والأطفال هدفهم إدماجهم في الجيش الفرنسي لمواجهة الثوار الأحرار. لذلك نجد السرد حاضرا بقوة لأن المقام يستدعي ذلك فهو النمط المناسب لإبراز تسلسل الأحداث وصيرورتها وهذا ما نلاحظه من أول بيت إلى آخر بيت في النص الشعري .
 وأهم مؤشر نستدل به في هذا النص لتسلسل الأحداث وارتباطها مع بعضها البعض ارتباطا عضويا قوله:²

ديغول ، للأحلاس كان مطية *** من ضعفه ، كم شيدت آمالها

ولكم غدا في أمرها متخاذلا *** حيران ، يخطب ودها ونوالها

فالنص عرض لتلك الأحداث بكل تفاصيلها.

أما في قصيدة "وليد القنبلة الذرية" نجدها عبارة عن رسالة تنديد بالمغامرة التي قامت بها فرنسا وهي تفجير القنبلة الذرية بصحراء الجزائر صبيحة يوم السبت 13 فيفري 1960 .
 وما تبعها من ويلات وكوارث طبيعية وصحية ونفسية ألفت بظلالها على الإنسان الجزائري وطبيعة بلاده على حد السواء.

1 : المصدر نفسه،ص157.

2 : مفدي زكريا، المصدر السابق،ص157.

والنص عرض لهذه المحنة نقطة نقطة مركزا على تبعات ما خلفه ذلك الفعل الشنيع وقد وظف الشاعر السرد الذي يلائم هذا المقام فنجده في قوله:¹

ما دهاه..؟ ويل أمه... ما دهاه؟ *** ويلتاه ، من جيله ويلتاه!!

ماله في الحياة ، يولد أعمى؟ *** ولم تر الكون ، باسم مقلتاه؟

ماله مقعدا ، يدحرج رجليه *** ه... وماذا جنى ، فشلت يداه؟

ماله ، لم تزل تهدده ، الأ... *** م ، ولم تستمع لها ، أذناه؟

ماله أخرسا ، تتاجيه في المه *** د ، ولم تبتمس لها شفثاه؟

ولماذا لم يبك ، بين ذراعيه *** ها دلالا ، ... ولم يقل : أماه؟

ألهذا الوجود ، جاء وحيدا؟ *** أم له في زمانه أشباه؟

ويلتاه من جيله ويلتاه!

فقدفته إلى الحياة ، يد المو *** ت ، فلم يقض في الحياة ربيعا

وسقته السموم ، في عالم الغيب *** ب ، فرنسا... فجاء شكلا مريعا

شوهت خلقه ، جريمتها الكب *** رى : وجرت له للخراب سريعا

ليته ظل في الفضاء نجارا!!! *** ليته دام كالشعاع ، رفيعا

ليته ظل في السماء ، ميعا!

فالأبيات اعتمدت على السرد إذ جاءت الأفعال الماضية مقررة للحقائق ، وجاء المضارع ليجعل من الأحداث أمرا متجددا، فكل فعل يصدر عنه رد فعل، وعجلة الأحداث تدور ليقرر في الأخير أن هذه القنبلة إنما فجرت ليستفيق الشعب وينتقم لكرامته وكرامة أطفاله التي تقننت فرنسا في سرقة سلامة أجسادهم ونفسياتهم وعكرت صفو حيا تهم بما باشرته من أعمال يندى لها الجبين، فما ذنب طفل صغير يتنفس بدل الهواء العليل أشعة وغازات قاتلة، وما ذنب وليد يولد أعمى مرتجف الأطراف، أخرس، لا يعرف للحياة طعما، ما ذنب هذا الإنسان الذي يحاصر بالسموم والتفجيرات

1 :المصدر نفسه،ص ص 161-162.

المحرمة دوليا أذنبه الوحيد أنه أعزل ، مسالم ، مظلوم ، مقهور ، لكن هذا الضرير المحروم بعد أن طعن الداء جسده وأحال السقم نراته هباء فتطايرت ونبت من حطامه لعنات كالصواريخ لقمة وانفجارا على كرامته المهذورة وعزته المفقودة وحرية المصادرة "فرب محنة كم فيها من محنة " . فالمصائب إن لم تفن أمة أيقضتها وردفتها للمطالبة بحقها في الوجود وهذا ما غاب عن فرنسا. أما في قصيدته: "يقدم فيك الشعب أعظم قائد" التي جادت بها قريحته في الذكرى الثامنة والسبعون لوفاة القائد البطل المقاوم الأول الأمير عبد القادر الجزائري في 1960.

فالنص حافل بالإجلال والإكبار بروح البطل ، فبعد أن استهل قصيدته بحقيقة مفادها أن الزمان يسجد بذكرى الأمير عبد القادر لما له من خصال ومكارم وصفات قلما نجدها اجتمعت في رجل واحد ، ثم أخذ الشاعر يفصل ويذكر أسباب هذا الاعتراف والإجلال موظفا السرد كقوله :¹

أثارت على العاتين حربا ولم تزل *** عليهم تظلى كالجحيم وتوقد
وسطرت للأحرار ، بالدم غاية *** لها المهج الحرى طريق معبد
فما خمدت نيران حريك لحظة *** وهيات ، نيران الجزائر تخدم
وكقوله أيضا :²

يقدم فيك الشعب أعظم قائد *** همام، له الأجيال تروي وتشهد

وجيشك -عبد القادر- اليوم ظافر *** يحطم هامات الطغاة ويحصد

فمن خلال السرد وقفنا على حقيقة الأمير عبد القادر الذي سجن الجهاد ضد الفرنسيين الغاشمين بطريقة مستميتة ، وبروح قتالية متفردة كانت للجزائريين نجما يهتدون به في معركتهم الطويلة مع فرنسا .

1 : مفدي زكريا ، المصدر السابق، ص 173.

2 : المصدر نفسه، ص 174.

فأكثر الشاعر من توظيف الأفعال الماضية التي تقرير الحقائق ، والمضارع الذي يفيد استمرارية هذه الروح الجهادية في نفوس الجزائريين الذين يزداد الوهج توهجا في أعماقهم كلما صادفوا ذكرى الأمير عبد القادر .

كما نتناول بالدراسة قصيدة " يوم الخلاص " التي قالها مفدي زكريا في عيد استقلال تونس سنة 1956 ، فلا تخلو هي الأخرى من الأسلوب السردي الذي وظف للكشف عن جوهر الشعب التونسي الذي نال استقلاله فكان هذا اليوم يوم خلاص من الذل والهوان ، والظلم والعدوان. ونسجل كما قلنا حضور السرد في كثير من المواضع فيقوله:¹

وعقول خلاقة ، غمرت تو *** نس رأيا ، وحكمة ، ونظاما

علمتنا حرية الفكر لما *** أرسلتها تحطم الأصناما

ورمتها إلى البناء فماجت *** بالحشاشات ، للنبا تترامى

والحبيب الأمين أشربها الد *** ب ففاضت محبة ووثاما

وأراها أن الحياة انسجام *** فمضت تنشأ الحياة انسجاما

فكان الشاعر يقدم مقدمات تفضل بها التونسيون في تعاملهم مع حقيقة المستعمر فكانت النتائج مبهرة.

وفي موضع آخر نجده يثني على الأعمال الخالدة الرئيس التونسي "حبيب بورقيبة" وخاصة في البيت التالي :²

والحبيب الأمين أشربها الد *** ب ففاضت محبة ووثاما

وكذلك في البيت :³

كم أذاق المستعمرين نكالا *** في بلاده لا تعرف الانهزاما

1 :المصدر نفسه،ص209 .

2 :مفدي زكريا ،المصدر السابق .

3: المصدر نفسه ، ص 210.

كما يواصل مدحه وهو محاط بشباب تونس ويتضح ذلك في الأبيات :¹

بشباب تخشى لقاء المنايا *** ونفوس ، لا تعرف الاحجاما

ونسور ، مثل الصواعق تنقذ *** ض ، فتدروا المستعمرين حطاما

يا لها ثورة ، بها كم فرضنا *** لك ، يا شعب في الوجود احتراما

وبهذا فبتضافر جهود الرئيس (بورقيبة) وشباب تونس الذي يمثل رمز الشعب المناضل المحارب

تأتي النتائج على قدر المقدمات.

ونصل إلى قصيدة " بنيت بروح شعبك عرش ملك " والتي قالها في رثاء المغفور له جلالة محمد

الخامس وأرسلها من تونس للعائلة المالكة وللشعب المغربي يوم وفاة الملك الراحل ، واستهلها بقوله

:²

إلى م تظل تلسعنا الجراح؟؟ *** وفيم تبيت ، تنهشنا الرماح؟؟

وهل في المغرب العربي يوما *** سينقطع التوجع والنواح؟؟

وهل من بعد ضائقة وعسر *** بما قد نشتهي ... تجري الرياح؟؟

فجعل من هذه الفاجعة منفذا للمأساة الجزائرية فيقول :³

نفوس بالجزائر عانيات *** تمزقها البنادق والصفاح !

وفي الخضرا حدود لا تراعى *** وفي الخضرا.. عهد تستباح!

وليث الأطلس الجبار يطوى *** فتطوى فيه آمال فساح !

قضى .. فتخاله ما عاش يوما *** كأن الموت في الدنيا مزاج !

كأن غدوه ، ما كان إلا *** مداعبة يدركها الرواح !

أمير المؤمنين .. غدوت شلوا *** ولم تغد ، المروءة والسماح!

1 : المصدر نفسه .

2 : مفدي زكريا، المصدر السابق، ص 212.

3 : المصدر نفسه، ص ص 213، 214.

أمير المؤمنين .. قضيت لما *** قضى بحياة أمتك الكفاح!

فالشاعر في بكائه على عزيز افتقده ، وافتقدته الأمة بأسرها عرج من خلال هذا الموقف على محطات كثيرة متمثلة في آلام الأمة وجروحها وفي كثرة الرماح المصوبة نحو مجمع حياتها ، ناهيك عن النوازل والمصائب التي أحاطت بالأمة من كل جانب فما هي تفتقد رجلا فذا كان ذخرا لجهاد هذه الأمة ، ومنتكأ يستند إليه الضعفاء الذين قصرهم العدو .

سرد الشاعر جملة من الأحداث التي رسمها الفقيه وكانت طريقا واضح الآيات وذلك في قوله:¹

بنيت بروح شعبك عرش ملك *** دعامته العدالة والصلاح !

وسست بحكمة وسداد رأي *** بلادا ظل يكلاها النجاح !

وواتتك الحظوظ فلم تضعها *** وأيام الدنى .. فرص تتاح

فهذه الأحداث التي كشف عنها لتوظيف السرد والذي اعتمد على الأفعال وذكر الأمكنة مثل: الجزائر ، الأطلس في البيتين:²

نفوس بالجزائر عانيات *** تمزقها البنادق والصفاح !

وليث الأطلس الجبار يطوى *** فتطوى فيه آمال فساح !

والمغرب الأقصى والخضرا كناية عن تونس في البيت التالي :³

لنا- في المغرب الأقصى- جناح *** وفي-الخضرا-لنا أبدا- جناح!

كما نجد شاعرنا العظيم لم يترك أدباءنا الكبار وشوامخ الجزائر الذين رفعوا راية العلم والأدب ، إنه الأديب الكاتب محمد البشير الإبراهيمي الذي تناوله مفدي زكريا بالمدح والوصف في أشهر قصائده بعنوان : " التحيات أيهذا الإمام" التي ارتجاها الشاعر في مهرجان تكريم فضيلة الشيخ

1 : مفدي زكريا،المصدر السابق، ص 214.

2 : المصدر نفسه،ص 213.

3 : المصدر نفسه ، ص 215.

الإبراهيمي الذي أقامته نخبة من أدباء تونس في دار زروق بسيدي أبي سعيد في 13 يوليو 1951.

فوجد عامل السرد جليا خاصة في مطلع القصيدة ، فالشاعر يروي على أسماعنا مستعملا السرد بطولات وتمجيدات الإبراهيمي التي خلدها في التاريخ والأذهان ، فهو يقدم تحياته لشيخ الأدباء إذ يعتبره مفدي باعث النهضة في الجزائر في قوله :¹

يا كريما، يطيب فيه النظام *** التحيات ، أيهذا الإمام

التحيات-يا بشير- وفي الاط *** واء معنى ، يضيق عنه الكلام

التحيات ، باعث الرجة الكب *** رى ، تهاوى حبالها الأصنام

والذي ألهب العزائم فانق *** ضت تبارى ، يسوقها الأقدام

والذي فك طلسم الشعب فارت *** د بصيرا ، وانجاب عنه الظلام

كما يعتبر الشاعر فضيلة الشيخ ملهب العزائم ومخرج الأمة من الظلام إلى النور وحامي حمى العروبة في قوله:²

والذي أنقد العروبة لما *** نصبت للعروبة الألغام

وحمى (دولة الكتاب) وكانت *** في الحمى (دولة الكتاب) تضاماً

وتنزل مكرما ، وعزيزا *** في بلاد يعتز فيها الكراما

أما قصيدة " رسالة الشعر في الدنيا مقدسة " التي ألفها الشاعر باسم الجزائر في مهرجان الشعر بدمشق يوم 23 سبتمبر 1961 واستهلها الشاعر بنمط ايعازي قائلاً:³

سل العروبة... هل ضجت لشكوانا ؟ *** وسل أمية ... هل رجت لبلوانا ؟

1 : المصدر نفسه،ص ص 240،241.

2 : مفدي زكريا ، المصدر السابق، ص 241.

3 : المصدر نفسه ،ص 242 .

إضافة إلى استفهامات كثيرة جاء بعدها السرد في إطار إجابات رائعة المطلع كقوله :¹

ويا دمشق ... هل ابتلت جوانحنا ؟ *** بعد التآني الذي قد كان أضنانا ؟

وهل درى السجن : أني بعد وحشته *** ألقى بحلق أصحابا وخلانا ؟

هي المشاعر ... شبتها لوا عجنا *** فصاغها الشعر حبا ، من حنايانا

فمفدي يبدو متأثرا بالشاعر الأندلسي " ابن زيدون " الذي يشكو حاله في نصه ويظهر ألما وحنينا إلى معشوقته " ولادة " كاشفا عن حبه لها واستمراره في الحفاظ على حبه لها مهما كان إعراضها ..

هنا يلتقي الشاعر مفدي زكريا مع شاعرنا المنكسر ابن زيدون في إظهار الأسى والحنين ، لكن كلا منهما ينشد ألمه لضالته فمفدي يحن إلى الأحرار ، والخلال ورفقاء النضال ، وقد وجد على المنبر بدمشق فرصة لكي يوصل آهات وأنين المظلومين في الجزائر إلى أسمع أهل الشرق العربي والذين يتألمون لما نتألم منه.

وكان السرد هو المطية التي نقل الشاعر بها أفكاره، فنقل تلك المشاهد المؤلمة والمؤثرة ويظهر في قوله:²

هيا الحشاشات... فارت ، من مذابحنا *** توضع في الشرق عطرنا ، من زوايانا

هي التساييح ... من أعماق مغربنا *** يصغى بها -مهرجان الشعر- نجوانا

هي الشعائل ... من بركان أطلسنا *** تشع في الشرق، أنوارا ونيرانا

قصيدة " فلسطين على الصليب "

1 : المصدر نفسه.

2 : مفدي زكريا، المصدر السابق، ص 288.

وتتوج ملحمة الشعر النضالي الذي استوحاه الشاعر من إيمانه بالوحدة العربية ودعوته إلى الدفاع عن شعوبها المكافحة بقصيدته "فلسطين على الصليب" وهي حوار بين الشاعر وفلسطين والعرب بمناسبة الذكرى الثالثة عشر لتقسيم فلسطين وهي من أروع منجزاته الشعرية صياغة ومضمونا ، ولعل قسوة الجرح الفلسطيني وفداحة النكبة كانا من وراء حرارة النغم الذي شد به هذا الشاعر الموهوب المرهف الحس الأصيل الانتماء ، وهو يفتح الجزء الأول من قصيدته بندااء جيش موجع يثير كل المواجد ، وذلك في الأبيات التالية :

أناديك في الصرصر العاتية *** وبين قواصفها الذارية¹

وأدعوك ، بين أزيز الوغى *** وبين جماجمها الجائيه

واذكر جرحك ، في حربنا *** وفي ثورة المغرب القانيه

فلسطين... يا مهبط الأنبيا *** ويا قبلة العرب الثانيه

ويا حجة الله في أرضه *** ويا هبة الأزل ، الشاميه

ويا قدسا ، باعه آدم *** كما باع جنته العاليه

أما الجزء الثاني من القصيدة فقد صاغه الشاعر على لسان فلسطين فهو ينزف أسى ولكنه يسمو كبرياء وفيه يكشف مفدي دون موارد ولا رياء عن أسباب المحنة فالعربي الذي يبكي فلسطين هو الطاعن والطعين ، هو الجرح والسكين ، وقبل أن ندين غيرنا علينا أن نطهر أنفسنا ، تلك شريعة الحق والعدل ، وليس هناك طريق بديل ، ويتجلى ذلك في الأبيات .²

هو الشعب.... لا السادة المترفون *** يحقق للنصر ، أحلاميه

1 : مفدي زكريا،المصدر السابق،صص336 ، 337.

2 : المصدر نفسه،ص344.

ومن يحتقر ، وثبات الشعوب *** تذبذبه ، أعاصير الساقية

إذا جاء موسى وألقى العصى *** تلقف ، ما يأفك الطاغية

ويستفز الشاعر النخوة العربية بذكر وسرد الأمجاد التاريخية التي خلدها أبطال العرب أمثال :
خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص وصلاح الدين الأيوبي في القادسية وحطين وأنطاكية ويتضح
ذلك في الأبيات التالية :¹

وخلدت (حطين) في مقدسي *** وجددت غزوة (أنطاكية)

وناديت -إن خذلوا ثورتى- *** من (القادسية) أنصارية

وجندت من (خالد بن الوليد) *** (وسعد بن وقاص) أبطالية

ويختتم مفدي زكريا قصيدته بالأمل والثقة في النصر وذلك في البيت التالي :²

ولن يخلف الله ، ميعاده *** ولا ريب ... ساعتنا، آتية!

ورغم الروح الخطابية في جنابات القصيدة فإن الشاعر استطاع أن يبعث فيها الدفء والحياة بهذا
الأسلوب الحوارى القصصي الذي أتاح له الفرصة لكي يعرض قصة فلسطين من زواياها المختلفة
دون أن يتسرب الملل إلى القارئ والسامع.

1 :مفدي زكريا،المصدرالسابق، ص343.

2 :المصدر نفسه، ص 349.

خاتمة

بعد الدراسة المتواضعة والتي حاولنا من خلالها أن نبرز قدر الإمكان تلك الجوانب من شعر مفدي زكريا التي لم تكن محض أنظار الباحثين والدارسين ، فلم تخصص لها دراسات مستقلة بذاتها رغم أنها جديرة بالدراسة وتستحق كل الاهتمام ، فبذلك لم تكن الالتفاتة إلى هذه الجوانب موسعة ومفصلة كما ينبغي أن تكون ، بل كانت عبارة عن أجزاء وعناصر من فصول متناثرة هنا وهناك ، فلذلك حاولنا قدر الإمكان أن نجمع أشتات هذا الموضوع في دراستنا هذه المتواضعة والتي أردنا أن تكون على الأقل جمعا لما تتناثر من أجزاء هذا الموضوع ، حيث إن دراستنا المتعلقة بهذا الشاعر -مفدي زكريا- توحى بأن سردية الشعر في شعره لم تخصص لها دراسة مستقلة التي كانت منتشرة في دواوين لا سيما ديوان اللهب المقدس .

لعل هذا هو الدافع الأساسي الذي جعلنا نخص هذه الدراسة لظاهرة سردية الشعر في اللهب -بالخصوص- وهذا ما شجعنا لخوض غمار البحث في الموضوع وخرجنا من هذا البحث بجملته من النتائج يمكن إدراجها في مايلي :

- أن مفدي كثير الوقوف عند قصص المعجزات التي يوظفها في شعره عندما يريد تصوير بعض الأحداث السياسية ، أو الاجتماعية الهامة التي يرغب في إبراز عظمتها وجلالتها وقد دأب زكريا على التوظيف في أغلب قصائده عن الثورة الجزائرية جاء ذلك عندما أراد التعبير عن عظمة الثورة ورسوخ قيمها وصلابة مواجهتها للظلم والطغيان وكان فعل الثورة المعجزة لا يقل نجاعة وتأثير عن نجاعة وتأثير معجزات الأنبياء والرسول.

- يعتبر مفدي من بين أولئك الشعراء الذين حاولوا المحافظة على التراث العربي دينا وتاريخا خاصة وأنه مثقف ثقافة عربية إسلامية ، وهذا ما جعل شعره تطغى عليه النزعة الدينية التي سارت عنده جنبا إلى جنب مع النزعة الوطنية ، فكان القرآن والتاريخ العربي والإسلامي أولى المنابع الأصلية التي استقى منها رموزه .
- واكب شعره بحماسة الواقع الجزائري بل الواقع في المغرب العربي في كل مراحل الكفاح .
- يعتبر مفدي من المحافظين التقليديين وهو ما ساهم في ارتداء شعره لثوب السرد والأسلوب القصصي باعتباره الملائم لسرد الحقائق والوقائع والأحداث التاريخية.
- وفق الشاعر إلى حد كبير في إبراز الجانب التاريخي وتصوير التاريخ والثورة والاستقلال على أنها أحداث قامت وفقها قصة متماسكة الأجزاء متناسقة التعابير ، مرتبة الأحداث متسلسلة في الزمان والمكان .
- والسمة البارزة أيضا في شعر مفدي زكريا هي الصدق الشعري وأثر المعاناة الشعورية فيه كالسجون والتعذيب ومحنة الشعب الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي ، كما يتميز شعره بالخصائص التالية :
- أنه شعر أصيل حتى النخاع .
 - شعر صادق لأنه نابع من تجربة شعورية ومعاناة قاسية .
 - مستمد من التراث الإسلامي مشبع بقيمه ومثله متأثر بعظمائه وتاريخه .
 - رائع في رسم الصور الشعرية الحية المؤثرة.

- بارع في الاقتباس والتضمين سواء للمفردات أو الأحداث من القرآن أو من التاريخ.
 - يتميز شعره بصدق التعبير، وجزالة اللفظ ، وهو ما يتفوق في شعره الوطني تفوقا واضحا .
- وأهم النتائج التي نختم بها هي استعمال مفدي للعنصر القصصي وأسلوب السرد ، وخاصة فيما يخص الأحداث التاريخية والوقائع الخاصة بالثورة التحريرية.
- وبهذا نكون قد درسنا ظاهرة سردية الشعر عند مفدي زكريا من خلال ديوان "اللهب المقدس" ونتمنى أننا قد أصبنا الهدف الذي سعينا من أجله في بحثنا المتواضع.
- وفي الأخير نشكر أستاذنا المشرف الذي سدد خطانا في هذا البحث بنصائحه القيمة وتشجيعاته لنا.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. الكتاب العزيز - القرآن الكريم.
2. مفدي زكريا - اللهب المقدس - موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر 2000.

المراجع:

1. ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .
2. ابن منظور لسان العرب ، دار الحديث القاهرة ، 2003 م 4 ص 552،553 .
3. أحمد توفيق المدني حياة كفاح المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1988 ج1.
4. الزمخشري - تفسير الكشاف : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط1 1995 .
5. السيد الهاشمي: ميزان الذهب في صناعة شعر العرب.
6. اليزابيت درو، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه.
7. أنيس بركات درار.
8. بسام العسيلي:بناء قاعدة الثورة الجزائرية ، دار النفاس ، بيروت 982 .
9. بلحي الطاهر: تأملات في إياذة الجزائر لمفدي زكريا، المؤسسة الوطنية للكتاب 1989.
10. جيرار جينات -خطاب الحكاية- ترجمة محمد معتصم- عبد الجليل الأزدي وعمر الحلي
-منشورات الاختلاف-الجزائر 2000 .

11. حميد الحميداني - بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء المغرب بيروت لبنان 2000 عبد الفتاح الحجمري ، التخييل وبناء الخطاب في
الرواية العربية المدارس الدار البيضاء المغرب ط1 سنة 2002.
12. حواس بري : شعر مفدي زكرياء دراسة وتقويم ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر .
13. د/ خليل رزق تحولات الحكمة - مؤسسة الإشراف بيروت ط1 لبنان جانفي 1998 .
14. رشيد بن مالك : قاموس مصطلحات التحصيل السيميائي ، دار الحكمة ، الجزائر فيفري
2000 .
15. ريتشارد، العلم والشع .
16. سانتيانا جورج : الاحساس بالجمال ص 191 نقلا عن نفس المرجع ص 368.
17. صالح خرفي : شعر المقاومة الجزائرية.
18. عبد الله ابراهيم : السردية العربية المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط 2 لبنان
2000 .
19. عبد الجواد خفاجي :-20 أفريل 2008 .
20. عبد العزيز عتيق ، فن النقد الأدبي .
21. عبد المالك بوتيتوتة: تجليات السرد في القصيدة الجاهلية ، مذكرة ماجستير في الآداب ،
تخصص السرد العربي القديم ، جامعة منتوري قسنطينة ، السنة الجامعية 2006-2007.

22. عبد المجيد عمراني: النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية 1954-1962 طبعة دار الشهاب 1995.
23. عبد الوهاب الرقيق في السرد ، دار الحامي للنشر ، صفاقس تونس ط 1 1998.
24. عبير فوزي قاصة مصرية من مواليد محافظة الوادي الجديد وقد صدرت مجموعتها موضوع الدراسة عن فرع ثقافة الوادي الجديد (سلسلة ابداعات الواحة) عام 2007.
25. عز الدين إسماعيل.
26. علي جواد الطاهر: مقدمة في النقد الأدبي.
27. عمار بن زايد النقد الأدبي الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1990.
28. عمر بن قينة : فن الأدب الجزائري الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1995.
29. كامل السماوي: جريدة الصباح التونسية 3056 الصادر بتاريخ 1962/6/7 بتونس.
30. محمد أفناش: حزب الشعب الجزائري 1927 - 1939 ديوان المطبوعات الجامعية.
31. محمد المرتضي الحسني ، تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق د/عبد العزيز مطر مطبعة حكومة الكويت ج 08 الكويت 1970.
32. محمد الهادي السنوسي: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، الشركة التونسية للنشر 1996.
33. محمد ناصر رمضان محمود: حياته وآثاره ، الشركة الجزائرية للكتاب 1983.
34. مجلة الثقافة : العدد 93-ماي-جوان-1986 وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر.

35. محاضرات الملتقى السادس للفكر الإنساني نقلا عن جريدة الجمهور الجزائري (شاعر الثورة

أمام الجمهور في 1984/11/05.

36. مصطفى ناصف: الصورة الأدبية.

37. د/نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، دمشق، الطبعة

الأولى 1980.

38. يحي الشيخ صالح ، شعر الثورة عن مفدي زكري-دراسة فنية تحليلية 1987.

فخر رس

الفهرس

الصفحة	العنوان
أ	مقدمة.....
	المدخل.....
01	أولاً: المناخ السياسي.....
05	ثانياً: المناخ الفكري والأدبي.....
07	1. الصحافة.....
09	2. الأدب.....
	الفصل الأول: حياة الشاعر "مفدي زكريا".....
15	1. نسبه.....
15	2. أسرته.....
15	3. ثقافته وأساتذته.....
17	4. شخصيته.....
21	5. شاعريته.....
22	6. بيئته وزمانه.....
23	7. باكورة إنتاجه.....
25	8. رحلاته.....
28	9. نشاطها السياسي والفكري.....
37	10. وفاته.....
38	11. مؤلفاته.....

الفصل الثاني: سردية الشعر عند مفدي زكريا في اللمب المقدس.....

40	1. تعريف الورد.....
55	2. تعريف الشعر.....
63	3. الدراسة الأسلوبية لمفدي زكريا.....
63	1 المستوى الصوتي.....
63	أ. القافية.....
65	ب. الإيقاع.....
67	ج. الجرس.....
74	2 المستوى المعجمي.....
74	أ. الدلالة.....
75	ب. الجرس الموسيقي.....
75	ج. القوة والفخامة.....
77	3 المستوى التركيبي.....
77	أ. الأسلوب عند مفدي زكريا.....
78	ب. القوة والجزالة.....

81	الفصل الثالث: الجانب التطبيقي ودراسة بعض النماذج الشعرية للوقوف على مواطن السرد القصصي من خلال ديوان " اللهب المقدس"
82	1. قصيدة "الذبيح الصاعد"
86	2. قصيدة "زنزانة العذاب رقم 73"
89	3. قصيدة "وقال الله"
92	4. قصيدة "وتعطلت لغة الكلام"
94	5. قصيدة "اقرأ كتابك"
96	6. قصيدة "أنا ثائر"
98	7. قصيدة"لا تعجبوا إن جاءكم برسالة"
99	8. قصيدة"وتكلم الرشاش جل جلاله"
100	9. قصيدة "أكذوبة العصر"
101	10. قصيدة "ذروا الأحلام واطرحوا الأمانى"
102	11. قصيدة"إلى الذين تمردوا"
104	12. قصيدة "وليد القنبلة الذرية"
105	13. قصيدة "يقدر فيك الشعب أعظم قائد"
106	14. قصيدة"يوم الخلاص"
107	15. قصيدة "بنيت بروح شعبك عرش ملك"
109	16. قصيدة "التحيات أيها الأمام"
110	17. قصيدة "رسالة الشعر في الدنيا مقدسة"
111	18. قصيدة "فلسطين على الصليب"
114	خاتمة.....